

ISSN 2518-5624



إقرأ في هذا العدد:

١- بعض المفاهيم المزورة عن عاشوراء.

٢- تنزيه أهل البيت عليهم السلام عن الربوبية..مفاهيم ومعطيات.

٣- المنكر للغدير خالدٌ في النار.

٤- الحوزات العلمية والوعي الحضاري.

إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة

بسم الله الرحمن الرحيم

إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق -وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١
هاتف:٣٢٦٤٩٩-بدالة:٣٢١٧٧٦٠-داخلي:٢٤٢
موقع العتبة
www.imamhussain.org
موقع القسم
www.imamhussain-lib.org
بريد القسم
info@imamhussain-lib.org



الامام الحسين عليه السلام بين ذي الحجة وعاشوراء

خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكة في اليوم الثامن من ذي الحجة، ولم يتم حجه لأسباب يعرفها الإمام عليه السلام ولكنّه صرّح بقوله لأخيه ابن الحنفية بقوله عليه السلام: (يَا أَخِي قَدْ خِفْتُ أَنْ يَغْتَالَنِي يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فِي الْحَرَمِ فَأَكُونَ الَّذِي يُسْتَبَاحُ بِهِ حُرْمَةُ هَذَا الْبَيْت) هذا ردّ من مجموعة ردود ردّ بها الإمام عليه السلام على الناصحين والمشفقين والمعترضين على خروجه إلى العراق.

وعند تأمل هذه المقوله القصيرة نستطيع أن نستفيد ما يلي:

١. إنّ الإمام الحسين عليه السلام يحتفظ لأخيه بالمودة والأخوة والاحترام.

٢. إنّ الإمام الحسين عليه السلام يعلّمنا أدب الاستماع إلى النصيحة وإنْ كان المنصوح أعلم من الناصح.

٣. إنّ الإمام الحسين عليه السلام يصرّح بسوء خلق يزيد لعلمه باغتيال المؤمنين دون حرج أو حياء.

٤. إنّ الإمام الحسين عليه السلام يصرّح بحرصه على ضرورة الحفاظ على حرمة الحرم وتعظيمه.

٥. إنَّ الإمام الحسين عليه السلام يصرّح بحرصه على ضرورة الحفاظ على حرمة البيت الحرام، وعدم جواز انتهاك هذه الحرمة بسفك دم أو غيره، وهذا درس للناس الذين لا يحترمون حرمة الحرم بتصرفات مخالفة للشرع سواء كانوا من الحجاج أو من المعتمرين أو حتى من خدام الحرم.

٦. فهذه المقولة نصية إلى كل مسلم بضرورة إحترام الحرم والبيت، وفيها إشارة إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام مقتول لا محالة لمعارضة حكومة بني أمية الفاسدة.

٧. إنّ الأسباب تجري تبعاً لإرادة الله تعالى التي علم بها الإمام الحسين عليه السلام ألا وهي إرادته رتبة الشهادة للإمام عليه السلام بدليل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لولده الامام الحسين عليه السلام.

(يا حسين إنّ لك عند الله رتبة لا تنالها إلاّ بالشهادة) وحين إنّ لهذه الشهادة مكاناً وزماناً خاصين فسار الإمام عليه السلام لبلوغ المكان والزمان المحددين من قبل الله تعالى.

ولا بأس من أنْ تقول إنّ الله تعالى منّ على العراق وأهله بمجيئ الإمام عليه السلام إلى كربلاء لما في وجوده من خير وبركة في الدنيا والآخرة.

المشرف العام

الحكمـــة في فعل المعصوم



نحن عندما ننظر إلى أي أمر معقد أو مرتبط بالحكمة الإلهية أو بتصرف المعصوم من قول أو فعل أو أحد الراسخين في العلم، فسوف نواجه وعرة في السيرة وصعوبة في الرؤية إلى حد قد يكون أحياناً نجد الباب مغلقاً أمامنا تماماً للصعود الذي نطمع الوصول إليه في هذا السبيل.

هناك بعض الأمور لو لاحظنا فيها لكشف هذا الغطاء عن أعيننا ولأصبحت الرؤية واضحة وجلية في اختيار المعصوم وقوله وفعله.

الأمر الأول

تم البرهان في مباحث العقيدة الإسلامية على أنّ العلم الإلهي والحكمة الإلهية لا متناهيان ومطلقان ولا حد لهما، وأنّ اطّلاعه جل جلاله على الواقعيات على مختلف المستويات أكيد وثابت على أوسع نطاق.

بل كل صفاته الذاتية هكذا جل جلاله وكثير من أسمائه فهو لا متناهي العلم والقدرة والحكمة والعدل والرحمة والحياة والوجود والجود والنعمة إلى غير ذلك.

كما ثبت أنّ العقل الإنساني مهما تسامى، فهو محدود بحدود لا يمكنه أن يتعداها، ومن البديهي أنّ المحدود يستحيل أن يدرك اللامحدود.

إذن ليس للإنسان أن يدرك العلم الإلهي والحكمة الإلهية كما هي، وإنّما ينال منهما بقدر استحقاقه وقابليته وعقله وبمقدار عطاء الله له.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: «الْعِلْمُ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي قَلْبِ مَنْ يَشَاء».(مصباح الشريعة:١٦)

الأمر الثاني

إنّنا نشعر وجداناً بعدم إحاطتنا بالواقعيات على

واقعها، لا من ناحية العقل (النظري) ولا من ناحية العقل (العملي).

والعقل النظري: هو إدراك ما ينبغي أن يُعلم.

والعقل العملي: هو إدراك ما ينبغي أن يعمل.

فإنّ العقل لا شكّ يدرك عدداً من القضايا كبيراً جداً بوضوح تام ووجدان كامل.

ولكنه حين يأتي إلى قضايا أخرى بعدد كبير أيضاً، فإنّه يشك فيها ولا يستطيع أن يعطي حولها قناعة أو جزماً معيناً.

إمّا لأنّها غير واضحة لذاتها أو للشك في تحقق موضوعها وموردها أو لوقوعها موقع التعارض والتزاحم مع قضايا أخرى، ولعل العقل يجهل المحصل أو النتيجة التي ينبغي البت بها بعد التزاحم.

ولا شك أنّنا لو كان عندنا إدراك للواقعيات لما تورّطنا في مثل هذه الشكوك والجهالات.

الأمر الثالث

حينما نتحدث عن أمر تاريخي كواقعة الطف أو خروج سيد الشهداء عليه السلام، يمكن أن نتمثل بهذا المثل وهو قول العرف: (يرى الحاضر ما لا يرى الغائب).(مجمع الأمثال:٢/٥٠٩)

ومن الواضح أنّهم كانوا حاضرين ونحن غائبون، وهم مشاهدون ونحن غير مشاهدين.

إذن ليس من حقنا أن نعترض على أية واضعة تاريخية، نشاهدها ولم نحط بها خبراً.

إذ لعل أهلها والقائمين بحوادثها قد علموا ما لم نعلمه من القرائن والحوادث والعلاقات وشخصوا التكليف لهم بأن يفعلوا كذا أو يتركوا.

وليس لنا أن نفتح أفواهنا ضدهم بشيء ونحن غير ملمين بالموضوع من جميع جهاته.

مع أنّهم لا شك كمعاصرين للأحداث وملاحظين لها حال وقوعها: إنّهم ملمون بها من جميع جهاتها.

الأمر الرابع

إنّ الهدف أو الحكمة من كل قول أو فعل وارد عن المعصوم عليهم السلام، لا ينحصر أن يكون هدفاً واحداً، بل يمكن أن يكون متعدداً، سواء ما نعلمه من الأهداف أو ما نحتمله منها، أو الأهداف التي تكون بالحكمة الإلهية، والمهم إمكان تعدد الأهداف لأي تصرف.

ومن هنا يمكن أن تتعدد الأطروحات المحتملة المصححة لتلك التصرفات.

فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُمْرَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «إِنِّي أَتَكَلَّمُ عَلَى سَبْعِينَ وَجْهاً لِي مِنْهَا الْمَخْرَجُ».(بصائر الدرجات:١/٣٣٠)

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْكَرْخِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «حَدِيثٌ تَدْرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ حَدِيثٍ تَرْوِيهِ وَلاَ يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فَقِيهاً حَتَّى يَعْرِفَ مَعَارِيضَ كَلاَمِنَا وَإِنَّ الْكَلِمَةَ مِنْ كَلاَمِنَا لَتَنْصرِفُ عَلَى سَبْعِينَ وَجْهاً لَنَا مِنْ جَمِيعِهَا الْمَخْرَجُ».(معاني الأخبار:٢)

الأمر الخامس

إنّ أيّ شيء في الخليقة فإنّ لوجوده نحواً من الحكمة والهدف أو كما يعبّر عنه بالعلة الغائية، وهو السبب الذي لأجله يحصل الفعل.

وقد عبّر العلامة الحلي بقوله: (إنّ كل فاعل بالقصد والإرادة فإنّه إنّما يفعل لغرض وغايةٍ ما وإلاّ لكان عابثاً، فإنّ الفاعل للبيت يتصور الاستكنان أولاً فيحاول إلى إيجاد البيت ثم يوجد الاستكنان بحصول البيت).(كشف المراد:٩٥)

فكل موجود مشمول لذلك، سواء كان إنساناً أم حيواناً أم نباتاً أم جماداً أم ملائكة أم غيرها الموجودات.

لا يشذ عن ذلك حتى الأفعال الاختيارية للفاعلين المختارين من الناس أو غيرهم.

فإنّها على الرغم من أنّها اختيارية منسوبة لأصحابها ويستحقون عليها المدح أو القدح، إلاّ أنّها بصفتها خلقاً من خلق الله سبحانه وتعالى فهي منسوبة إليه جل جلاله.

ومن ثم يكون إيجادها طبقاً لتلك القاعدة ذا حكمة وعلة غائية.

ومن هنا يمكن القول أو يثبت الأمر، أنّ أي فعل من

أفعالنا فهو له نحوان من المقاصد:

نحو يعود إلى الفاعل نفسه.

ونحو يعود إلى الخالق جل جلاله.

فلا يختلف في ذلك فعل الإنسان البسيط عن العظيم والعالم عن الجاهل والمعصوم عن غيره وهكذا.

فمثلاً: يمكن القول: إنّ الإمام الحسين عليه السلام إنّما قام بحركته العظيمة، من أجل غرضه الشخصي، بينه وبين نفسه، وذلك لأجل قيامه بواجب من الواجبات الموكلة إليه والمكلف بها، تماماً كما لو صلينا صلاة الظهر امتثالاً لأمر الله سبحانه علينا وجوباً من ناحية وطمعاً بالثواب الناتج منها من ناحية أخرى.

وقد أمر الله سيد الشهداء عليه السلام بهذه الحركة، فهو يمتثل هذا الأمر، متوخياً الثواب العظيم، والمقامات العليا التي ذخرها الله سبحانه له، والتي لن ينالها إلاّ بالشهادة.

فالتساؤلات عن حركة الإمام الحسين عليه السلام إنّما هي من قبيل التساؤلات عن الحكمة الإلهية فيها، وليس عن الأغراض الخاصة بالحسين عليه السلام منها كما شرحناه ومن هنا يكون الاعتراض على الحركة والطعن في أهدافها، إنّما طعن بالحكمة الإلهية مباشرة وليس في أغراض الحسين عليه السلام منها.

لأنّ أغراضه الشخصية لم تكن بكل بساطة إلا الامتثال للأمر الإلهي، كذلك العمل بالواجب والتكليف الشرعي كونه إماماً معصوماً مفترض الطاعة عليه أن يقود أمّة جدّه صلى الله عليه وآله وأن يطبّق الشريعة الإسلامية التي جاء بها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله على الأرض لأنّه حجة الله تعالى على الخلائق أجمعين.

الأمر السادس

لا ينبغي ونحن ننظر إلى فهم التاريخ الإسلامي أن ننظر إلى القادة المعصومين سلام الله عليهم كقادة دنيويين، كما عليه تفكير طبقة من الناس السذّج، يدّعون التمسك بالفكر الديني ولكنهم متأثرون بالاتجاه المادي الدنيوي.

فهم يعتبرون المعصومين قادة دنيويين كبراء، بل هم بهذه الصفة خير من خير القادة الموجودين خلال العصور كلها، في اتصافهم بعمق التفكير وحصافة الرأي وشجاعة التنفيذ ونحو ذلك.

ومعه يكونون هم المسؤولون عن أهداف حركاتهم وأقوالهم وأفعالهم ولا تكون تلك الأمور منسوبة إلى الحكمة الإلهية بأي حال.

إلا أنّ ذلك خطأ لا يغتفر، بل لابد في النظر إليهم كقادة من أخذ كل الأصول الدينية والعقائد الصحيحة بنظر الاعتبار.

وقد ثبت أنهم معصومون مسددون من قبل الله سبحانه.

فالسؤال عن الحكمة لابد وأن يكون راجعاً إلى الحكمة الإلهية لا إلى آرائهم الشخصية مهما كانت مهمة.

فإذا اعتبرناهم قادة دنيويين، فإننا ينبغي أن نعترف بفشلهم في كثير من المهمات التي قاموا بها فعلاً.

وتكون كثير من أفعالهم خالية من الحكمة والمصلحة، بل تكون واضحة الفشل من الناحية الدنيوية.

فمثلاً أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد خرج إلى الكوفة ثم إلى كربلاء وهو يعلم أنّه سوف يموت وإنّ عائلته سوف تسبى.

وليس الأمر منحصراً به، بل يعلم بذلك عدد من الناس، ومن هنا نصحه المتعددون أن يعيد النظر في عمله ويسترك مهمته.

وممن كانوا حاولوا منع الحسين عليه السلام من الخروج مشفقين به كالآتي:



١. المسوّر بن مخرمة بن نوفي القرشي الزهري.(تاريخ دمشق لابن عساكر:٦٩/١٣)

٢. عبد الله بن عباس.(الكامل في التاريخ لابن الأثير:٢٧٦/٣)

٣. عبد الله بن جعفر. (تاريخ الطبري:٢١٩/٦)

٤. أبو بكر المخزومي بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي القرشي.(مروج الذهب:٦/٣)

٥. عبد الله بن جعدة.(أنساب الأشراف:١/١)

٦.جابر بن عبد الله.(تاريخ الإسلام للذهبي:٣٤٢/١)

٧.عبد الله بن مطيع.(العقد الفريد:١٢٣/٣)

٨.عمرو بن سعيد.(تاريخ دمشق:٧٠/١٣)

٩. محمد ابن الحنفية.(بحار الأنوار:٣٦٤/٤٤)

١٠. أم المؤمنين زوجة النبي صلى الله عليه وآله أمّ سلمة.(أسرار الشهادة للدربندي:١٩٢)

١١. عبد الله بن الزبير.(تاريخ ابن عساكر:٦٧/١٣)

١٢.عبد الله بن سليمان والمنذر بن المشمعل الأسديان.(الكامل في التاريخ:١٧/٤)

١٣. الطرماح بن حكم.(أسرار الشهادة:٢٢٦)

١٤. عبد الله بن عمر.(مثير الأحزان للحلي:٣٤)

لكنه مع ذلك كان مهتماً بها مقبلاً عليها مهما كانت النتائج.

فلو نظر إليها نظراً دنيوياً لكانت في نظرنا حركة فاشلة تماماً، وإذا جردنا من الإمام الحسين عليه السلام قائداً دنيوياً كان رأيه خالياً من الرشد والحكمة وحاشاه.

إذن، فالأمر لابد عائد إلى الأمر الإلهي والحكمة الربّانية، والله سبحانه يريد بإيجاد هذه الحركة أهدافاً تعدل هذه التضحيات الجسام التي قدمها هذا الإمام العظيم سلام الله عليه.

فضلاً عن أنّ الإمام نفسه مؤيّد ومسدّد من قبل الله تعالى، ومن هنا استطاع أن يعلم بنحو أو آخر بالأمر الإلهي المتوجه إليه بإيجاد هذه الحركة.

إمّا بالأمر الموروث إليه من قبل جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أو بالعلم اللّدني أو التسديد الإلهي الموجود لديه.

النتيجة

لا يمكن قبول أمر ما أو الاعتقاد بشيء من دون التحري والبحث حول القضية، فمما لا شكّ أنّ الوقائع التاريخية لم نحضرها أبداً، لكن ليس هناك مسوّغ لعدم قبول واقعة تاريخية مهما كان الأمر من عدم قبول عقل الإنسان أو المنطق البشري.

فهناك حكمة إلهية غيبية لا يعلمها البشر قد تكون في الحادثة التاريخية أو في موقف سابق حدث، واختفاء الحكمة عن الإنسان ليس بالضرورة سبب لنكران الواقعة أو التشكيك في تفاصيلها أو كلّياتها وجزئياتها.

فالعقل البشري لا يحتمل أموراً مهمة وكثيرة إلا ما يراها بعينه أو يمكنه تصوّر صورة ذهنية عن الموضوع.

فالمعصوم يعلم بجميع الأمور من الله تبارك وتعالى ويخطو بخطوات لا يخطوها إلا بإذن الله تعالى، حيث يقول القرآن الكريم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.[النجم:٣-٤]

وهذه شهادة من القرآن الكريم على أنّ المعصوم فعله وقوله وتقريره ليس منه بل هو وحي من الله تعالى، ولمّا كان الإنسان غير ملمّ بالوحي وبالغيبيات فلا يحقّ له أن يشكك في شيء لا يعلمه أو لم يحضر في حال وقوعه.

وإذا سلّم على أنّ المعصوم لا يخطأ ولا ينطق إلا بالوحي فعلى العبد أن يسلّم تسليماً تاماً للمعصوم في أقواله وأفعاله وتقريره من أدنى شك.

السيد صدر الدين العاملي





بعض المفاهيم المزوّرة عن عاشوراء

من الواضح أنّ السياسة الأموية أسست أساس الظلم والاستبداد على المجتمع الإسلامي من بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وحتى يومنا هذا.

فمما لا شك فيه أنّ من سياسة الظلم والقهر الأموي هو الهدر والقهر الذي حكم به المسلمين بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بمساعدة ومساندة بعض الصحابة من أصحاب السلطة والحكم.

فهناك ما هو أسوأ من ذلك، وهو الانقلاب الكبير في المفاهيم والأفكار والعقائد، بعد الانقلاب الجماعي الذي حدث بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بثلاثة أيام.

فالانقلاب في المفاهيم والأفكار شكّل انحرافاً فكرياً وعقدياً خطيراً، أساء إلى صفاء الإسلام في عقيدته وشريعته ومفاهيمه، مع الإشارة إلى دور الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة هذا الانحراف المفاهيمي.

وعلينا أن نلاحظ أنّ المفاهيم التي تمّ تزويرها لم تكن مبتدعة بالكليّة، إنّما لها أصل إسلامي في الكتاب أو السنّة، لكن الأهواء ويد السياسة عملت على تحريفها وتفسيرها تفسيراً خاطئاً، من أجل مصالحها وأهدافها الخاصة.

أولاً: الاعتزال

يأتي على رأس المفاهيم المزوّرة مفهوم العزلة الذي كان الكثيرون يتسترّون به، هرباً من نصرة الحق وبذل المال والنفس في مواجهة الباطل، وإنّنا نلاحظ أنّ فكرة الاعتزال قد ظهرت في عهد أمير المؤمنين عليه السلام، حيث اعتزله جماعة ولم يشتركوا معه في حروبه ولا اشتركوا مع أعدائه، بل اختاروا الجلوس على التل، ومن هؤلاء عبد الله بن عمر وسعيد بن مالك، وقد جاء في نهج البلاغة أنّ الحارث بن حوط أتى أمير المؤمنين فقال: أتراني أظن أنّ أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟ فقال عليه السلام: «يا حارث إنّك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحِرت، إنّك لم تعرف الحق فتعرف من أتاه ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه».

فقال الحارث: فإنّي اعتزل مع سعيد بن مالك وعبد الله ابن عمر، فقال عليه السلام: «إنّ سعداً وعبد الله بن عمر لم ينصرا الحق ولم يخذلا الباطل».(نهج البلاغة:٤/٦٣)

فهو عليه السلام يريد التأكيد على أنّ معركته هي معركة الحق ضد الباطل «علي مع الحق والحق مع

علي».(أمالي الصدوق:١٥٠)

وعندما يكون الصراع صراع حق وباطل، فالمطلوب من كل مسلم أن يخذل الباطل وينصر الحق، لا أن يكون حيادياً؛ لأنّه لا حيادية بين الحق والباطل.

نعم إنّما يكون الحياد أو الاعتزال مبرراً شرعاً في جو الفتن التي لا يعرف فيها الحق من الباطل، فحينئذٍ يكون الموقف كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كن في الفتنة كابن اللبون، لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب»، ولكن هذا لا ينطبق على معركة علي عليه السلام مع خصومه، ولا معركة الحسين عليه السلام مع يزيد وأتباعه.

وهكذا قد تكون العزلة محمودة إذا كانت تمثل الفرصة المثلى لحفظ الدين وحماية النفس عن الانحراف والسقوط تحت ضغط الواقع الفاسد، وهذا ما امتدح به الله سبحانه الفتية من أهل الكهف، قال سبحانه: ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقا ﴾.[الكهف:١٦]

وربّما مثلت العزلة احتجاجاً على الواقع الفاسد في محاولة لإيقاظ الضمائر ودعوتها إلى التفكير، والعودة

من سياسة الظلم والقهر الأموي هو الهدر والقهر الذي حكم به المسلمين بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بمساعدة ومساندة بعض الصحابة من أصحاب السلطة والحكم

إلى الذات، ولعلّ هذا هو السّر وراء اعتزال خليل الله إبراهيم عليه السلام عن قومه، قال تعالى: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنا نَبِيًّا.. ﴾.[مريم:٤٨-٤٩]

وفي هذا السياق نفهم الروايات التي تعتبر العزلة نوعاً من العبادة، أو أنّ فيها سلامة الدين، ففي الحديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «العزلة عبادة».(أعلام الدين:٣٤١)

وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً قال: «العزلة سلامة».(كنز العمال:٣/٣٧٢)

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «سلامة الدين في اعتزال الناس».(مستدرك الوسائل:١١/٣٩٣)

أمّا فيما عدا ذلك، فإنّه لا محلّ شرعاً للعزلة، بل ربّما شكّلت خيانةً للأمّة وتخاذلاً عن نصرة الحق، وإنّنا نعتقد أنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام لما تمثّله من شرعيّة إسلاميّة قد فضحت هذا المفهوم، فَضَحَته بمواقف رجالاتها وأبطالها الذين أبوا الجلوس على التل، أو أن يسمعوا داعية الحسين عليه السلام دون أن يجيبوه، وقد سجّلت بعض النصوص والزيارات إدانة ليس فقط للذين شاركوا في قتل الإمام وأهل بيته عليهم السلام، بل لكلّ الذين سكتوا عن نُصرته، أو رضوا بقتله، لأنّ (الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم).(نهج البلاغة:٤/٤٠)

وقد ظهرت ثمرة ذلك سريعاً، فأحسّ المجتمع الكوفي بالندم وسيطر هذا الشعور على النفوس التي سرعان ما تفجّرت غضباً في وجه قتلة الإمام الحسين عليه السلام من خلال حركة التوابين، في محاولة لتلافي التقصير، والتكفير عن الذنب الكبير في خذلانه وتركه وحيداً في أرض الطفوف.

ثانياً: عقيدة الجبر

من جملة المفاهيم العقائدية الخاطئة التي أسهمت في تخدير الأمّة الإسلامية وشلّ إرادتها وتقاعسها عن نصرة قضايا الحق والعدل مفهوم (القضاء والقدر) الذي قدّم وفُسّر بطريقة خاطئة، ليُصبح مرادفاً لفكرة الجبر وسلب إرادة الإنسان، هذا على الرغم من أن أصل المبدأ صحيح وسليم، وقد أكّد القرآن عليه في عدة آيات، قال تعالى: ﴿ فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾.[فصلت:١٢]

وقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدى ﴾.[الأعلى:٢-٣]

والقضاء بمعنى (فصل الأمر قولاً كان أو فعلاً).(مفردات الراغب، مادة: قضى).

والقدر والتقدير: تبيين كمية الشيء.(مفردات الراغب، مادة: قدر).

وفي الخبر عن الإمام الرضا عليه السلام وقد سأله يونس عن معنى القدر فقال: «هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء»، ثم قال: «والقضاء: هو الإبرام وإقامة العين».(الكافي الشريف: ١/١٥٨)

ما هي الخلفية السياسية لعقيدة الجبر؟

ربّما كان تبنّي بعض الناس لعقيدة الجبر منطلقاً

من جمودهم على بعض الظواهر، أو سوء فهمهم لبعض الآيات القرآنية التي تتحدّث عن عموم قدرة الله تعالى كقوله تعالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾.[الأعراف:٥٤]

وقوله تعالى: ﴿وَما تَشاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ الله رَبُّ الْعالَمِينَ﴾. [التكوير: ٢٩]

وقوله عزّ وجل: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ﴾. [الصافات:٩٦]

وغيرها من الآيات التي يتراءى منها لأول وهلة أنّ الله سبحانه هو الخالق لأفعال الإنسان بما قد يسلبه الاختيار، وطبيعي أنّ هذا الفهم خاطئ ومرفوض؛ لأنّ خالقيته تعالى لأفعال العباد لا تعني سلب الاختيار عن الإنسان ليُصبح مجرد آلة، بل الفعل صادر عن العبد باختياره، ومع ذلك يصحّ نسبته إلى الله سبحانه، بلحاظ مالكيته للإنسان ولكل أفعاله، وهو الذي أعطاه القدرة والقوّة على الفعل حتى في حال صدور المعصية منه، وهذه النظرية هي التي تسمى بنظرية (الأمر بين الأمرين) التي أكّد عليها أئمة أهل البيت عليهم السلام وعُرفوا بها في مقابل نظريّتي الجبر والتفويض.

ولكنّ البعض الآخر من القائلين بالجبر ينطلقون من خلفيات غير سليمة؛ لأنّهم تمسّكوا بها تهرباً من مسؤولياتهم وتبريراً لتفلّتهم وانحرافهم، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله عن هذه الفئة بقوله: «سيأتي زمان على أمّتي يؤوّلون المعاصي بالقضاء، أولئك بريئون منّي وأنا بريء منهم».(الصراط المستقيم:٣٢)

كما أنّ فئة ثالثة يقف وراء تمسّكهم بهذه العقيدة هدف سياسي، وهو محاولة تبرير تسلّطهم على رقاب الناس، والسعي إلى تحييد الجماهير عن ساحة الصراع؛ لأنّ هذه العقيدة إذا ما بُثت في الأمّة فإنّها تمهّد لتخدير الناس ودفعهم إلى اليأس من إمكانية التغيير السياسي والاجتماعي، بحجّة أنّ الله هو مالك المُلك يؤتي المُلك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء ويعزّ من يشاء.

ولهذا رأينا أنّ السلاطين الأمويين ومن سار في نهجهم وركابهم كانوا على رأي المروجين لهذه العقيدة، ليقولوا للناس: إنّ الله هو الذي قدّر أن يكون معاوية أو يزيد لعنهما الله خليفة للمسلمين، ولا مردّ لقضاء الله وقدره! وأنّ ما جرى على الحسين عليه السلام في كربلاء كان بتقدير الله وفي علمه وإرادته، فلا تلقوا باللائمة على يزيد أو ابن زياد أو عمر بن سعد لعنهم الله! إلى غير ذلك من الأغراض السياسية التي أريد تمريرها تحت غطاء عقيدة يُدّعى انتسابها إلى القرآن والإسلام، وقد عرف عن معاوية أنّه: (أول من زعم أنّ الله يريد أفعال العباد كلها) ولما عيّن، يزيد خليفة واعترض عليه عبد الله بن عمر أجابه: (إنّ أمْرَ يزيد قد كان قضاءً من القضاء وليس للعباد خيرة من أمرهم). (الإمامة والسياسة:١/١٦١)

وعلى المنوال نفسه سال يزيد، فإنّه لما ورد عليه موكب السبايا إلى الشام، قال مخاطباً الإمام زين العابدين عليه السلام: (يابن حسين، أبوك قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت).(إعلام الورى:١/٤٧٤)

فيزيد يعتبر أنّ ما جرى على الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام في كربلاء هو مما صنعه الله بهم لا مما جنته يداه الآثمتان، وبنفس هذه اللغة تكلم عبيد الله بن زياد مع العقيلة زينب عليها السلام فإنّه لما أدخلت عليه إلى قصر الإمارة في الكوفة قال لها: (كيف رأيتِ صنع الله بأخيك وأهل بيتك) فقالت: «ما رأيت إلاّ جميلاً».(الملهوف على قتلى الطفوف:٢٠١)

عقيدة الجبر عند المشركين والأحبار

نلاحظ أنّ بعض الآيات القرآنية نصت على أنّ المشركين كانوا يبررون شركهم وعبادتهم للأصنام بإرادة الله لهم ذلك، قال سبحانه: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللهُ ما أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ﴾. [الأنعام: ١٤٨]

ونقل عنهم أيضاً: ﴿...لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ...﴾. [الزّخرف:٢٠]

ما يعني أنّ هذه العقيدة الباطلة كان لها انتشار في الوسط الجاهلي، وربّما ظلت رواسبها في أذهان البعض حتى بعد إسلامهم.

وتشير بعض الشواهد التاريخية إلى أنّ وهب بن منبه، وهو من مسلمة أهل الكتاب الذين أكثروا النقل والرواية عن الإسرائيليات، كان من المروّجين لفكرة الجبر ونفي الاختيار عن الإنسان، حيث يقول: (كنت أقول بالقدر حتى قرأت



بعضة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء في كلها: من جعل لنفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر فتركت قولي).(تاريخ دمشق:٦٣/٣٨٦)

محاربة عقيدة الجبر

عند مراجعتنا للمصادر الروائية والتاريخية نجد أنّ لهذه العقيدة أنصاراً في عهد أمير المؤمنين عليه السلام الذي قام كسائر أئمة أهل البيت عليهم السلام بمحاربتها وتفنيدها وبيان بطلانها ومنافاتها للقرآن الكريم وسنّة الرسول صلى الله عليه وآله، فقد روي أنّه جاء رجل إليه بعد انصرافه من حرب صفين، فقال له: (يا أمير المؤمنين أخبرني عمّا كان بيننا وبين هؤلاء القوم من الحرب، أكان بقضاءٍ من الله وقدر؟، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَا عَلَوْتُمْ تَلْعَةً وَلاَ هَبَطْتُمْ بَطْنَ وَادٍ إلاّ بِقَضَاءٍ مِنَ اللهِ وَقَدَرٍ».(الكافي الشريف:١/١٥٥)

فقال الرجل: فعند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين! فقال له: «ولِمَ؟»، قال: إذا كان القضاء والقدر ساقانا إلى العمل، فما وجه الثواب لنا على الطاعة، وما وجه العقاب لنا على المعصية؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «أَوَ ظَنَنْتَ يَا رَجُلُ أَنَّهُ قَضَاءٌ حَتْمٌ وَقَدَرٌ لازِمٌ! لاَ تَظُنَّ ذَلِكَ فَإِنَّ الْقَوْلَ بِهِ مَقَالُ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَحِزْبِ الشَّيْطَانِ وَخُصَمَاءِ الرَّحْمَنِ وَقَدَرِيَّةِ هَذِهِ الأُمَّةِ وَمَجُوسِهَا إِنَّ اللهَ جَلَّ جَلاَلُهُ أَمَرَ تَخْيِيراً وَنَهَى تَحْذِيراً وَكَلَّفَ يَسِيراً وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص:٢٧].(الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد:١/٢٢٦)

فقال الرجل: فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: «الأَمْرُ بِالطَّاعَةِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالتَّمْكِينُ مِنْ فِعْلِ الْحَسَنَةِ وَتَرْكِ السَّيِّئَةِ وَالْمَعُونَةُ عَلَى الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ وَالْخِذْلاَنُ لِمَنْ عَصاهُ وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ وَالتَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيبُ كُلُّ ذَلِكَ قَضَاءُ اللهِ فِي أَفْعَالِنَا وَقَدَرُهُ لأَعْمَالِنَا فَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ فَلاَ تَظُنَّهُ فَإِنَّ الظَّنَّ لَهُ مُحْبِطٌ للأَعْمَالِ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: فَرَّجْتَ عَنّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَرَّجَ اللهُ عَنْكَ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَنْتَ الإِمَامُ الَّذِي نَرْجُو بِطَاعَتِهِ
يَوْمَ الْمَآبِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَاناً
أَوْضَحْتَ مِنْ دِينِنَا مَا كَانَ مُلْتَبِساً
جَزَاكَ رَبُّكَ بِالإِحْسَانِ إِحْسَانا

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في تعريف القضاء والقدر: «الأَمْرُ بِالطَّاعَةِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالتَّمْكِينُ مِنْ فِعْلِ الْحَسَنَةِ وَتَرْكِ السَّيِّئَةِ وَالْمَعُونَةُ عَلَى الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ وَالْخِذْلاَنُ لِمَنْ عَصاهُ وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ وَالتَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيبُ كُلّ ذَلِكَ قَضَاءُ اللهِ فِي أَفْعَالِنَا وَقَدَرُهُ لأَعْمَالِنَا»

ويبقى لثورة الحسين عليه السلام دور كبير في تفنيد هذه العقيدة ومحاربتها، بل وكل العقائد المنحرفة الخاطئة، فقد جسّدت هذه الثورة بالفعل لا بالقول اختيار الإنسان وحريته في اختيار مصيره، كما أنّها أكّدت على هذه الحقيقة من خلال امتداداتها، فقد ذكر في كتب السيرة أنّه لما أدخل السبايا على ابن زياد التفت إلى علي بن الحسين عليه السلام وقال: من هذا؟ قيل: علي بن الحسين، فقال: أليس قد قتل الله علي ابن الحسين؟!

فقال له عليه السلام: «قد كان لي أخ يسمى علي ابن الحسين قتله الناس»، فقال ابن زياد: بل الله قتله! فقال علي عليه السلام: ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها ﴾. [الزمر:٤٢]

فقال ابن زياد: وبك جرأة على جوابي، اذهبوا به فاضربوا عنقه).(الملهوف:٢٠٢)

وهكذا نستطيع أن نقول: إنّ جملة من الثورات والحركات التي قامت بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام كانت خير تعبير على نجاح هذه الثورة في إعادة الحريّة والإرادة إلى الأمّة وإسقاط نظرية الجبر من نفوس الثائرين والأحرار.

الشيخ حسين الخشن





التقصير في معرفة الإمام عليه السلام

روي في مصباح الزائر للسيد ابن طاووس أعلى الله مقامه في زيارة الإمام الحجة عج: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدانا لِهذا وَعَرَّفْنَا أَوْلِيَاءَهُ وَأَعْدَاءَهُ، وَوَفَّقَنَا لِزِيَارَةِ أَئِمَّتِنَا، وَلَمْ تَجْعَلْنَا مِنَ الْمُعَانِدِينَ النَّاصِبِينَ، وَلاَ مِنَ الْغُلاَةِ الْمُفَوِّضِينَ، وَلاَ مِنَ الْمُرْتَابِينَ الْمُقَصِّرِينَ».(المزار الكبير:٦٥٧)

وورد في الزيارة الجامعة: «فَالرَّاغِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ وَاللاَّزِمُ لَكُمْ لاَحِقٌ وَالْمُقَصِّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ». (من لا يحضره الفقيه:٦١٢/٢)

وفي زيارة عاشوراء المعروفة قال عليه السلام تعليماً للزائر: «...وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللهُ فِيهَا...».

وروى الشيخ الكليني أعلى الله مقامه في الكافي الشريف أيضاً في مصحح عَنْ أَبِي الْفَضْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ إِدْرِيسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام فَأَجْرَيْتُ اخْتِلاَفَ الشِّيعَةِ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُتَفَرِّداً بِوَحْدَانِيَّتِهِ ثُمَّ خَلَقَ مُحَمَّداً وَعَلِيّاً وَفَاطِمَةَ فَمَكَثُوا أَلْفَ دَهْرٍ ثُمَّ خَلَقَ جَمِيعَ الأَشْيَاءِ فَأَشْهَدَهُمْ خَلْقَهَا وَأَجْرَى طَاعَتَهُمْ عَلَيْهَا وَفَوَّضَ أُمُورَهَا إِلَيْهِمْ فَهُمْ يُحِلُّونَ مَا يَشَاءُونَ وَيُحَرِّمُونَ مَا يَشَاءُونَ وَلَنْ يَشَاءُوا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ الدِّيَانَةُ الَّتِي مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا مُحِقَ وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ خُذْهَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ».(الكافي الشريف:٤٤١/١)

ليس المراد من التفويض في الرواية التفويض العزلي الباطل بمعنى عزل قدرة البارئ عن الأشياء و العياذ بالله بل المراد إقدارهم وهو تعالى أقدر منهم فيما أقدرهم عليه نظير إيكال قبض الأرواح إلى عزرائيل وتنزيل الوحي إلى جبرائيل.

قال الشيخ المجلسي أعلى الله مقامه في البحار في شرح الرواية: (والديانة الاعتقاد والمتعلق بأصول الدين من تقدمها أي تجاوزها بالغلو مرق أي خرج من الإسلام، ومن تخلف عنها أي قصر ولم يعتقدها محق أي أبطل دينه، ومن لزمها واعتقد بها لحق أي بالأئمة أو أدرك الحق، خذها إليك أي احفظ هذه الديانة لنفسك).

(بحار الأنوار:٣٤٢/٢٥)

وروى الشيخ الكليني رحمه الله عَنْ ضُرَيْسٍ الْكُنَاسِيّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ وَعِنْدَهُ أُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ يَتَوَلَّوْنَا وَيَجْعَلُونَا أَئِمَّةً وَيَصِفُونَ أَنَّ طَاعَتَنَا مُفْتَرَضَةٌ عَلَيْهِمْ كَطَاعَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ثُمَّ يَكْسِرُونَ حُجَّتَهُمْ وَيَخْصِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفِ قُلُوبِهِمْ فَيَنْقُصُونَا حَقَّنَا وَيَعِيبُونَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ بُرْهَانَ حَقِّ مَعْرِفَتِنَا وَالتَّسْلِيمَ لِأَمْرِنَا أَتَرَوْنَ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى افْتَرَضَ طَاعَةَ أَوْلِيَائِهِ عَلَى عِبَادِهِ ثُمَّ يُخْفِي عَنْهُمْ أَخْبَارَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...».(الكافي الشريف:٢٦١/١)

وجوب طاعة الرسول و الإمام وولايتهم العامة

إنّ مفهوم الدين والديانة هو الخضوع بالطاعة في اتّجاه من له الولاية، ومن ثمّ كانت الديانة هي الطاعة، والمطاع هو الدائن، وكذلك في مفهوم الإسلام الذي هو من التسليم والخضوع.

ومن ذلك يتقرّر المطلوب من أنّ ولاية النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام، أي وجوب طاعتهم تتّسع لكلّ حدود ودائرة الدين والديانة في طول وتبع ولاية الله تعالى وطاعته، ومن ثمّ تتبلور القراءة الصحيحة لقوله تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾.[النساء:٥٩]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾.[المائدة:٥٥-٥٦]

فإنّ وجوب طاعة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام وولايتهم ليست مقتصرة على الحاكمية السياسية، بل هي ولاية وقيمومة على هذا الدين، كما هو الحال في وجوب طاعة الله وولايته، حيث إنّها غير مقتصرة على الحاكمية السياسية والقضائية والتشريع السياسي، بل هي ولاية عامّة بحدود سعة الدين والديانة، حتّى في الأبواب العِبادية، بمعنى أنّ رسم العبادة لله تعالى هو بتوسط سنن وأوامر نبوية وسنن وأوامر مولوية، كما هي مشتملة على فرائض وأوامر إلهية، فقصد الأمر المأخوذ في العبادة هو امتثال الأمر الشامل للأقسام الثلاثة من الأوامر، فبطاعتهم يُعبد الله تعالى.

وإلى ذلك يشير ما رواه المشاريخ كـ(الكليني، والمفيد، والطوسي) رضوان الله تعالى عليهم في الصحيح عن محمّد بن زيد الطبري، قال: كُنْتُ قَائِماً عَلَى رَأْسِ الرِّضَا عليه السلام بِخُرَاسَانَ وَعِنْدَهُ عِدَّةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَفِيهِمْ إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيسَى الْعَبَّاسِيُّ فَقَالَ: «يَا إِسْحَاقُ بَلَغَنِي أَنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ إِنَّا نَزْعُمُ أَنَّ النَّاسَ عَبِيدٌ لَنَا، لا وَقَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مَا قُلْتُهُ قَطُّ وَلاَ سَمِعْتُهُ مِنْ آبَائِي قَالَهُ وَلاَ بَلَغَنِي عَنْ أَحَدٍ مِنْ آبَائِي قَالَهُ وَلَكِنِّي أَقُولُ النَّاسُ عَبِيدٌ لَنَا فِي الطَّاعَةِ مَوَالٍ لَنَا فِي الدِّينِ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ».(الكافي الشريف:١٨٧/١)

وما ورد في الروايات من زيارة قبر الحسين ابن علي عليهما السلام في باب السلام على الأئمة الهاديين المهديين: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِكَ وَأَخِي رَسُولِكَ الَّذِي انْتَجَبْتَهُ بِعِلْمِكَ وَجَعَلْتَهُ هَادِياً لِمَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِكَ وَالدَّلِيلَ عَلَى مَنْ بَعَثْتَهُ بِرِسَالاتِكَ وَدَيَّانَ الدِّينِ بِعَدْلِكَ وَفَصل قَضَائِكَ بَيْنَ خَلْقِكَ وَالْمُهَيْمِنَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ وَالسَّلاَمُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه». (الكافي الشريف:٥٧٢/٤)

إذن وجوب الانقياد إلى الرسول والإمام صلوات الله وسلامه عليهم هو الوصول إلى الله تبارك وتعالى، وليس إطاعة المعصوم فيه مخالفة لأوامر الله، لأنّ الخليفة هو من نصبه الخالق، ولا يكون خليفة إلاّ أن يتّصف بالصفات الإلهية، فإطاعة المعصوم يعني إطاعة الرسول ومن ثمّ إطاعة الله تعالى.

بقلم: الشيخ محمد السند



تنزيه أهل البيت عليهم السلام عن الربوبية.. مفاهيم ومعطيات

إنّ عبارة فلا تجعلوناً أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم.. كلمة جامعة مانعة قالها أمير المؤمنين عليه السلام انطوى تحتها بحث واسع وعظيم .. وتحتاج إلى مقدمات تمهيدية عديدة بل إنّها تحتاج إلى بحث موسوعي في مجلدات عديدة.

وهذه المقدمات ذكرها نبذة من علماء الإمامية بشكل مفصل في كتبهم طبقاً لما قال أهل البيت عليهم السلام.

ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جلّه، فقد جمعت هذه الكلمة التوحيد كله وأخرجت الكفر والجحود.

كان في سابق علم الله أنّ هناك (١٤) معصوماً لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

بل وجدهم قمة في الطاعة والوفاء وإلى ذلك يشير دعاء الندبة: «...وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا جَرَى بِهِ قَضَاؤُكَ فِي أَوْلِيَائِكَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَدِينِكَ إِذَا اخْتَرْتَ لَهُمْ جَزِيلَ مَا عِنْدَكَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ الَّذِي لاَ زَوَالَ لَهُ وَلاَ اضْمِحْلاَلَ بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهْدَ فِي دَرَجَاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَزُخْرُفِهَا وَزِبْرِجِهَا فَشَرَطُوا لَكَ ذَلِكَ وَعَلِمْتَ مِنْهُمُ الْوَفَاءَ بِهِ فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيَّ وَالثَّنَاءَ الْجَلِيَّ...».(إقبال الأعمال:٢٩٥)

فكان قد علم أنّ هواهم طبقاً لهواه لا يتخلف بمقدار تريلون تحت الصفر بل أكثر وعلم منهم أنّ رأيهم رأيه وقولهم قوله لا يختلفون بمقدار أنملة واحدة.

وراضين بكل ما أمرهم الله حتى إذا كلف ذلك الرضا أن يقدموا أرواحهم وأبدانهم وأولادهم وأزواجهم وأصحابهم وكل ما لديهم وما يحبون قرابين لله عز وجل.

فقد اشترط على رسول الله وأخذ العهد منه على أنّ

الذي سيتعرض له لم ولن يتعرض بقية للأنبياء لقطرة مما سيتعرض له من المخاطر والأحداث، ولهذا قال صلى الله عليه وآله: «مَا أُوذِيَ نَبِيٌّ مِثْلَ مَا أُوذِيت». (كشف الغمة:٥٣٧/٢)

فقد سلم لكل تلك المصائب والمحن التي أبت الجبال والسموات والأرض أن تحمل شيئاً منها فضلاً عن أجمعها.

فقد علم بما سيجري على الزهراء صلوات الله عليها بكل تلك المآسي التي لا يعرف حدودها إلا الله عز وجل.

كيف لا وقد قالت سلام الله عليها:

صبت عليّ مصائب لو أنّها
صبت على الأيام صرن لياليا

وقد علم ما سيلاقي أمير المؤمنين عليه بعده من المصائب والمحن التي يعجز الأنبياء عن حمل قطرة منها.

وقد قال أمير المؤمنين علي سلام الله عليه: «سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري».

وهكذا الإمام الحسن عليه السلام الذي تعرض لمواقف تهتزّ الجبال لأدنى قطرة منها فقد تعرض للأذى من أقرب المقربين من أصحابه.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام لسلمان المحمدي: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ اللهِ لاَ تُسَمُّونَا أَرْبَاباً وَقُولُوا فِي فَضْلِنَا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا مِنْ فَضْلِنَا كُنْهَ مَا جَعَلَهُ اللهُ لَنَا وَلاَ مِعْشَارَ الْعُشْرِ»

وأما عند الإمام الحسين عليه السلام فيقف القلم وتقف العقول وتقف الملائكة والجبال والبحار والسموات عن وصف شيء مما جرى في كربلاء فقد عجزت ملائكة السماء عن تحمل لحظة من لحظات عاشوراء لذلك فقد بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا وما يرى وما لا يرى كما يصف الإمام الصادق عليه السلام.

فعن محمّد بن جعفر، عن محمّد بن الحسين، عن وهب بن حفص النخّاس، عن أبي بصير، عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام بَكَى لِقَتْلِهِ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَاحْمَرَّتَا وَلَمْ يَبْكِيَا عَلَى أَحَدٍ قَطُّ إِلاَّ عَلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عليه السلام».(بحار الأنوار:١٨٣/١٤)

وهكذا بقية الأئمة عليهم السلام وهم القائلون: «...مَا مِنَّا إِلاَّ مَقْتُولٌ أَوْ مَسْمُوم...».(كفاية الأثر:١٦٢)

فكان في علم الله أنّ هؤلاء الأربعة عشر وما يحيط بهم من الدائرة الاصطفائية الثانية كأبي الفضل العباس وزينب العقيلة وعلي الأكبر وأبي طالب وحمزة وجعفر الطيار وجميع الذين اصطفاهم الله من بني هاشم هكذا يقدّمون كل شيء لله عز وجل التي تعجز ليس البشرية فقط بل تعجز السموات والجبال والبحار وكل المخلوقات عن وصف ما أعطى هؤلاء الأنوار لله عز وجل.

فقد أعطوا لله كل شيء كما وصف الشاعر محسن أبو الحب الإمام الحسين:

أعطى الذي ملكت يداه إلهه
حتى الجنين فداه كل جنين
إن كان دين محمد لم يستقم
إلا بقتلي يا سيوف خذيني

فقد شرط الله عليهم الزهد في كل شيء حتى بالأطفال الرضع فقدموا ووجوههم تلألأ نوراً وجلالاً كلما قدموا لله عز وجل.

ولسان حالهم يقول: «إلهي إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى».(الحدود الأنيقة:٧٧)

وكذلك قولهم: «اللهم تقبل منا هذا القربان».

فعندما علم الله منهم كل هذه الطاعة التي لا تقاس بطاعة الأنبياء والأوصياء والأولياء، وعندها أعطاهم الله كل شيء.

فقد وصلوا إلى قمة العبودية الخالصة التي لا تقاس بها عبودية.

والحديث طويل في هذا الخصوص، فمهما وصلوا إلى قمم الكرم في العطاء والطاعة لله فيبقى الله هو أكرم منهم.

فإن كان محمد وآل محمد كرماء فالله أكرم الكرماء.

فجعلهم علة الوجود وخلقهم من نور عظمته وجعلهم المثل الأعلى والكلمة التامة.

فهم مثل الله الأعلى والأتم.. فجعل إرادتهم إرادته وجعل رضاهم رضاه كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «رِضَى اللهِ رِضَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصبِرُ عَلَى بَلَائِهِ وَيُوَفِّينَا أُجُورَ الصابِرِين».(نزهة الناظر وتنبيه الخاطر:٨٦)

وجعلهم وجهه الذي إليه يتوجه الأولياء.. وجعلهم الأسماء الحسنى وأعطاهم الصفات الإلهية واشتق لهم أسماءً من أسمائه فهو المحمود وهذا محمد وهو العالي وهذا علي وهو الفاطر وهذه فاطمة وهو المحسن وهذا الحسن وهو قديم الإحسان وهذا الحسين.

فقد جعلهم المثل الأعلى وجعلهم النور الأول.. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجابر حينما سأله عن أول شيء خلقه الله: «...نُورُ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ خَلَقَهُ اللهُ ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ كُلَّ خَيْر...».(بحار الأنوار:٢٢/٢٥)

وهذه الخلقة قبل أن يخلق الخلق بأربعة عشر ألف عام وقد جعلهم الله مثله الأعلى وأعطاهم كل شيء.

كما قال تعالى في الحديث القدسي: «عبدي أطعني تكن مثلي تقل للشيء كن فيكون».(دلائل الصدق لنهج الحق:١٨١/٥)

فلم يحظَ بالعبودية التامة إلاّ محمد وآل محمد عليهم السلام المعصومين الأربعة عشر في الدرجة الأولى والأنوار التي تأتي بعدهم في الدرجة الثانية من المصطفين من بني هاشم.

فجعلهم المثل الأعلى، فكما أنّ الله تعالى هو الخالق الأحسن فقد جعلهم الله هم الخالقون فقال عنهم في سورة المؤمنين ﴿تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِين﴾.[المؤمنين:١٤]

وكما أنّ الله عز وجل هو أرحم راحم فقد جعلهم الراحمين كما ذكرهم الله في سورة يوسف وغيرها فقال: ﴿فَاللهُ خَيْرٌ حافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين﴾.[يوسف:٦٤]

فقد ذكر اسم الراحمين في ستة مواضع من القرآن.

وكما أنّ الله عز وجل خير رازق فقد جعلهم الرازقين وذكرهم في ستة مواضع من القرآن كما في سورة الحج قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِين﴾.[الحج:٥٨]

والقرآن مشحون بهذه الفضائل العظيمة في ذكرهم: فقد جاء وصفهم العالون المؤمنون الصالحون الصابرون المطهرون العالمون الحاكمون الحامدون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

وأعطاهم الله أكثر وأعظم مما يصفه الواصف فقد أعطاهم مقام الأسماء الحسنى كما ذكر السيد الخوئي في تفسير البيان فقال (ومن هنا صح إطلاق الأسماء الحسنى على الأئمة الهداة كما في بعض الروايات).(تفسير البيان:٤٣٣)

فكل ما لله أعطاهم في مراتبهم العالية.. فهم العالون وهم الذين آتاهم الله ملكاً عظيماً وهم يشهد القرآن من أوله الى آخره بفضلهم.. وعند جعل أنوارهم في صلب آدم أمر الملائكة بالسجود لأنوارهم القدسية العالية.. فلولاهم لم يخلق الله آدم.. فهم العالون الذين آتاهم الله ملكاً عظيماً.. وهم وجه الله ويده، وهم عين الله وغير ذلك من الصفات التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، أو ما ورد عنهم لسانهم عليهم أفضل الصلاة والسلام.

والحديث يطول عن هذه الأسرار والمقامات العالية التي يتحدث القرآن عنهم من أوله إلى آخره.

ومع كل ما أعطاهم الله عز وجل التي هي أعظم وأعظم من أن توصف وجعلهم مثله الأعلى يقولون للشيء كن فيكون ولكن يبقى محمد وآل محمد هم عباد الله المكرمون.

ولذلك قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «... إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ اللهِ لاَ تُسَمُّونَا أَرْبَاباً وَقُولُوا فِي فَضْلِنَا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا مِنْ فَضْلِنَا كُنْهَ مَا جَعَلَهُ اللهُ لَنَا وَلاَ مِعْشَارَ الْعُشْرِ لأَنَّا آيَاتُ اللهِ وَدَلاَئِلُهُ وَحُجَجُ اللهِ وَخُلَفَاؤُهُ وَأُمَنَاؤُهُ وَأَئِمَّتُهُ وَوَجْهُ اللهِ وَعَيْنُ اللهِ وَلِسَانُ اللهِ بِنَا يُعَذِّبُ اللهُ عِبَادَهُ وَبِنَا يُثِيبُ وَمِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ طَهَّرَنَا وَاخْتَارَنَا وَاصْطَفَانَا وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ لِمَ وَكَيْفَ وَفِيمَ لَكَفَرَ وَأَشْرَكَ لأَنَّهُ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُون...».(بحار الأنوار:٦/٢٦)

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتمسكين بولاية أهل البيت عليهم السلام وأن يختم عواقب أمورنا خيراً إنّه سميع مجيب.

بقلم: الشيخ محمد الأنباري

الوحدة وحديث الفرقة الناجية

إنّ الحديث المتواتر بين الفريقين عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ بَعْدِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِرْقَةٌ مِنْهَا نَاجِيَةٌ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ».(الخصال:٢/٥٨٥)

يلزم الباحث المسلم الطالب للنجاة الأُخروية الفحص عن خصوص تلك الفرقة الناجية، و التمسّك بها دون بقية فرق المسلمين لأنّ مؤدّى الحديث النبوي أنّ الاختلاف الواقع ليس في دائرة الظنون والاجتهاد المشروع، بل هو في دائرة الأصول والأركان من الأُمور القطعية واليقينية، أي ممّا قام الدليل القطعي واليقيني عليها، وإن لم تكن ضرورية في زمن أو أزمان معيّنة نتيجة التشويش أو التعتيم الذي تقوم به الفرق الأُخرى.

والحديث مضافاً إلى كونه ملحمة نبوية يحدّد معالم الوحدة التي يجب أن تقيمها الأُمّة الإسلامية بأن تكون على منهاج الحقّ والهدى الذي تسير عليه الفرقة الناجية،

وإنّ الأُمّة وإن اشتركت في الإقرار بالشهادتين والانتماء إلى الملّة الواحدة إلاّ أنّ ذلك لا يعدو الأحكام بحسب ظاهر الإسلام في النشأة الدنيوية، إلاّ أنّها مفترقة بحسب واقع الإسلام والإيمان الذي به النجاة الأُخروية; فهناك ديانة بحسب إقرار اللسان تترتّب عليها أحكام المواطنة في النظام الاجتماعي السياسي، وهناك ديانة بحسب القلب والأعمال تترتّب عليها أحكام الآخرة من النجاة من النار وإعطاء الثواب.

وهذه الأمور المستفادة من الحديث الشريف المتواتر إنّما هي بلحاظ الإنسان البالغ العاقل المكلّف، الذي قد اجتمعت فيه شرائط التكليف، أمّا الصبي والمجنون والجاهل القاصر أو المعتوه أو الأبله وحديث العهد بالإسلام ونحوهم ممّن لم تقم عليه الحجّة وتتمّ شرائط التكليف لديه، فهم معذورون، وعاقبة المعذور موقوفة على المشيئة الإلهية الأُخروية.

لذلك لا مفرّ لهذا الإنسان المكلّف المختار ولا مخلص ولا نجاة له إلاّ بالفحص عن الفرقة الناجية من فرق المسلمين، وليس له أن يتعامى عن عمد ويسلك طريق الضلال والغواية ويرجو مع ذلك النجاة، كما أنّ البحث الجادّ بين فرق المسلمين في إطار الوحدة لا بُدّ أن يُتحرّى فيه بمقتضى الحديث الشريف والتوصية النبوية عن الحقّ الذي تسلكه الفرقة الناجية لكي تتّبعها بقيّة الفرق، فإنّ منهاج الهدى لا يرسم بضلال القاصر المستضعف.

بقلم: الشيخ جعفر الدرازي



المنكر للغدير خالد في النار

السنة العاشرة من الهجرة أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بصورة رسمية وعامة ولأول مرة النفير للحج، حيث أن يحضر من يستطيع إلى تلك المراسم, وسميت هذه السفرة بـ(حجة الوداع، أو حجّة الإسلام، أو حجّة البلاغ، أو حجّة الكمال، أو حجّة التمام).(موسوعة الغدير:١/٩)

وكان الهدف الأهم من هذه السفرة بيان أعظم ركن في الإسلام حتى يتَمم بها تبليغ الرسالة وهي الإمامة والولاية من بعده, حيث خرج من استطاع من المسلمين إلى الحج وأدّوا مناسكهم بتعليم مباشر من الرسول صلى الله عليه وآله, وبعد



الانتهاء من المناسك أمر الرسول صلى الله عليه وآله بلال الحبشي أن ينادي بالناس (لا يبقى غداً أحد إلاّ خرج إلى غدير خم).

تحرّكت تلك القافلة العظيمة نحو الغدير، وذلك في يوم الخامس عشر من ذي الحجة، أي بعد ثلاثة أيام من مراسم الحج, وعند منتصف الطريق في قبيل الظهر من يوم الإثنين, الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام، وقبل أن يتشعّب المصريّون والعراقيّون والشاميّون، ولدى وصولهم إلى منطقة (غدير خم) نزل جبرائيل عن الله تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ .[المائدة:٦٧]

تسمَّر النبي صلى الله عليه وآله في مكانه وأصدر أمره إلى المسلمين بالتوقف. فتوقَّفت القافلة كلها في منطقة الغدير، وأخذ كل فرد يتدبَّر أمر إقامته هناك حيث نصبوا خيامهم وسكن الضجيج تدريجياً, وبأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله قام المقداد وسلمان وأبوذر وعمار بكسح الأشواك تحت الأشجار التي كانت هناك ورفع الأحجار وقطع الأغصان المتدلّية إلى الأرض، ونظَّفوا المكان ورشُّوه بالماء، ومدُّوا ثياباً بين شجرتين لتظليل المكان.

ثم بنوا المنبر في وسط الظل، فجعلوا قاعدته من الأحجار ووضعوا عليها بعض أقتاب الإبل، حتى صار بارتفاع قامة ليكون مشرفاً على الجميع حتى يروا النبي صلى الله عليه وآله ويسمعوا صوته.

وبعد إقامة الصلاة ظهراً ارتقى النبي صلى الله عليه وآله المنبر ووقف على أعلى مرقاة منه، ثم دعا بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأمره أن يصعد المنبر ويقف إلى يمينه.

فجاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ووقف على المنبر أدنى من موقف النبي صلى الله عليه وآله بمرقاة بحيث وضع النبي صلى الله عليه وآله يده على كتفه وشرع النبي صلى الله عليه وآله في خطبته التاريخية و المشهورة، حيث إنّها آخر خطبة رسمية سمعها المسلمون من النبي صلى الله عليه وآله وألقاها إلى العالم أجمع، التي لم يذكر في التاريخ خطبة لنبي من الأنبياء مثلها وفي مثل هذا الحشد المهيب الذي اجتمع فيه أكثر من مائة وعشرين ألفاً من المسلمين.

استغرقت خطبة النبي صلى الله عليه وآله في الغدير نحو ساعة أو أكثر, لأنها كانت شاملة ومفصلة.

قسّمنا الخطبة إلى أهم فقرات منها ما يلي:

الفقرة الأولى

في الفقرة الأُولى من الخطبة بدأ النبي صلى الله عليه وآله بحمد الله والثناء عليه، ذاكراً صفاته وقدرته ورحمته، شاهداً على نفسه بالعبودية المطلقة أمامه سبحانه وتعالى.

فقال صلى الله عليه وآله: «...الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَلاَ فِي تَوْحِيدِهِ وَدَنَا فِي تَفَرُّدِهِ وَجَلَّ فِي سُلْطَانِهِ وَعَظُمَ فِي أَرْكَانِهِ وَأَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ فِي مَكَانِهِ وَقَهَرَ جَمِيعَ الْخَلْقِ بِقُدْرَتِهِ وَبُرْهَانِهِ... بَارِئُ الْمَسْمُوكَاتِ وَدَاحِي الْمَدْحُوَّاتِ مُتَفَضِّلٌ عَلَى جَمِيعِ مَنْ بَرَأَهُ مُتَطَوِّلٌ عَلَى كُلِّ مَنْ ذَرَأَهُ يَلْحَظُ كُلَّ نَفَسٍ وَالْعُيُونُ لاَ تَرَاهُ كَرِيمٌ حَلِيمٌ ذُو أَنَاةٍ قَدْ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَتُهُ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ بِنِعْمَتِهِ... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ مُنْشِئٌ حَيٌّ حِينَ لاَ حَيَّ وَدَائِمٌ حَيٌّ وَقَائِمٌ بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ...».

وقد شهد على نفسه بالعبودية المطلقة فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «...أَشْهَدُ لَهُ بِأَنَّهُ اللهُ الَّذِي مَلأَ الدَّهْرَ قُدْسُهُ وَالَّذِي يَغْشَى الأَمَدَ نُورُهُ وَيَنْفُذُ أَمْرُهُ بِلاَ مُشَاوَرَةٍ وَلاَ مَعَ شَرِيكٍ فِي تَقْدِيرٍ وَلاَ يُعَاوَنُ فِي تَدْبِيرِهِ صَوَّرَ مَا ابْتَدَعَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ وَخَلَقَ مَا خَلَقَ بِلاَ مَعُونَةٍ مِنْ أَحَدٍ وَلاَ تَكَلُّفٍ وَلاَ اخْتِيَالٍ شَاءَهَا فَكَانَتْ وَبَرَأَهَا فَبَانَتْ...».

الفقرة الثانية

وفي الفقرة الثانية ألفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين إلى الهدف الأصلي من الخطبة، وأخبرهم أنّ الوحي نزل عليه، وأنّه يجب عليه إبلاغهم الأمر الإلهي في علي بن أبي طالب، وإن لم يفعل فلا يؤمن عليه من عذاب الله وعقابه!

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «...وَأُشْهِدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَأُؤَدِّي مَا أَوْحَى إِلَيَّ حَذَراً مِنْ أَنْ لاَ أَفْعَلَ فَتَحِلَّ بِي مِنْهُ قَارِعَةٌ لاَ يَدْفَعُهَا عَنِّي أَحَدٌ وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لأَنَّهُ قَدْ أَعْلَمَنِي أَنِّي إِنْ لَمْ أُبَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيَّ فَمَا بَلَّغْتُ رِسَالَتَهُ وَقَدْ ضَمِنَ لِي تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعِصمَةَ وَهُوَ اللهُ الْكَافِي الْكَرِيمُ فَأَوْحَى إِلَيَّ ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾.[المائدة:٦٧] مَعَاشِرَ النَّاسِ مَا قَصرْتُ فِي تَبْلِيغِ مَا أَنْزَلَهُ إِلَيَّ وَأَنَا مُبَيِّنٌ لَكُمْ سَبَبَ نزول هَذِهِ الآيَةِ، إِنَّ جَبْرَئِيلَ هَبَطَ إِلَيَّ مِرَاراً ثَلاَثاً يَأْمُرُنِي عَنِ السَّلاَمِ رَبِّي وَهُوَ السَّلاَمُ أَنْ أَقُومَ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ فَأُعْلِمَ كُلَّ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي وَالإِمَامُ مِنْ بَعْدِي الَّذِي مَحَلُّهُ مِنِّي مَحَلُّ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي وَهُوَ وَلِيُّكُمْ بَعْدَ اللهِ وَرَسُولِهِ...».

الفقرة الثالثة

وفي الفقرة الثالثة أعلن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إمامة اثني عشر إماماً من عترته إلى يوم القيامة، لكي يقطع بذلك طمع الطامعين بالسلطة بعده، ومن الأمور المهمة في هذه الخطبة الشريفة بيان النبي صلى الله عليه وآله عصمة الأئمة من بعده ونيابتهم عنه صلى الله عليه وآله في أُمور الدين والدنيا.

ثم أوضح صلى الله عليه وآله وسلم ببيانه الرائع ارتباط ركني الإسلام بين القرآن الكريم والعترة الطاهرة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «...فَاعْلَمُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ أَنَّ اللهَ قَدْ نَصبَهُ لَكُمْ وَلِيّاً وَإِمَاماً مُفْتَرَضَةً طَاعَتُهُ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصارِ وَعَلَى التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ وَعَلَى الْبَادِي وَالْحَاضِرِ وَعَلَى الأَعْجَمِيِّ وَالْعَرَبِيِّ وَالْحُرِّ وَالْمَمْلُوكِ وَالصغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَعَلَى الأَبْيَضِ وَالأَسْوَدِ وَعَلَى كُلِّ مُوَحِّدٍ مَاضٍ حُكْمُهُ جَائِزٌ قَوْلُهُ نَافِذٌ أَمْرُهُ مَلْعُونٌ مَنْ خَالَفَهُ مَرْحُومٌ مَنْ تَبِعَهُ وَمَنْ صَدَّقَهُ فَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِمَنْ سَمِعَ مِنْهُ وَأَطَاعَ لَهُ... فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ وَلِيُّكُمْ وَإِلَهُكُمْ ثُمَّ مِنْ دُونِهِ رَسُولُكُمْ مُحَمَّدٌ وَلِيُّكُمْ وَالْقَائِمُ الْمُخَاطِبُ لَكُمْ ثُمَّ مِنْ بَعْدِي عَلِيٌّ وَلِيُّكُمْ وَإِمَامُكُمْ بِأَمْرِ اللهِ رَبِّكُمْ ثم الإِمَامَةُ فِي ذُرِّيَّتِي مِنْ وُلْدِهِ إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ اللهَ عَزَّ اسْمُهُ وَرَسُولَهُ...».

الفقرة الرابعة

وفي الفقرة الرابعة من الخطبة وعندما كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واقفاً على المنبر إلى جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أدنى منه بمرقاة، قال صلى الله عليه وآله وسلم له: «ادْنُ مني»؛ فاقترب منه أمير المؤمنين عليه السلام فأمسك النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعضديه ورفعه من مكانه حتى حاذت قدماه ركبة النبي صلى الله عليه وآله وشاهد الناس بياض إبطيهما، وقال عند ذلك: «مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَانْصرْ مَنْ نَصرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ».

وبعد هذا المقطع من الخطبة الشريفة أعلن النبي صلى الله عليه وآله وسلم للناس نزول ملك الوحي عليه يخبره عن إكمال الدين وإتمام النعمة بولاية أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾.[المائدة:٣]

فلمّا نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهُ أَكْبَرُ عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ وَإِتْمَامِ النِّعْمَةِ وَرِضَى الرَّبِّ بِرِسَالَتِي وَبِوِلاَيَةِ عَلِيٍّ مِنْ بَعْدِي».(مناقب علي عليه اسلام:١١٩/ح٦٦)

وهنا بدأ القوم يهنّؤون أمير المؤمنين، وممّن هنّأه في المقدّمة أبو بكر وعمر، حيث قال عمر: بخ بخ لك يا بن أبي طالب؛ أصبحت

وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. (شواهد التنزيل:١/٢٠٣)

الفقرة الخامسة

في الفقرة الخامسة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «فَمَنْ لَمْ يَأْتَمَّ بِهِ وَبِمَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ مِنْ وُلْدِي مِنْ صُلْبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْعَرْضِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأُولئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُون».

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «مَعَاشِرَ النَّاسِ قَدِ اسْتَشْهَدْتُ اللهَ وَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَتِي وَما عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِين».

قال الإمام الرضا عليه السلام لابن أبي نصر: «...أينما كنت فاحضر يوم الغدير عند أمير المؤمنين عليه السّلام فإنّ الله يغفر لكلّ مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة ذنوب ستّين سنة، ويعتق من النّار ضعف ما أعتق في شهر رمضان وليلة القدر وليلة الفطر، والدّرهم فيه بألف درهم لإخوانك العارفين وأفضل على إخوانك في هذا اليوم، وسرّ فيه كلّ مؤمن ومؤمنة...».(الغارات:٢/٨٥٩)

الفقرة السادسة

وفي الفقرة السادسة، بعد أن تلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدة من آيات التحذير من العذاب واللعنة، ففي قوله تعالى ﴿...مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ وَكانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولا﴾.[النساء:٤٧]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: « بِاللهِ مَا عَنَى بِهَذِهِ الآيَةِ إِلاَّ قَوْماً مِنْ أَصْحَابِي أَعْرِفُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَنْسَابِهِم قَدْ أُمِرْتُ بِالصفْحِ عَنْهُم... لأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ قَدْ جَعَلَنَا حُجَّةً عَلَى الْمُقَصِرِينَ وَالْغَادِرِينَ وَالْمُخَالِفِينَ وَالْخَائِنِينَ وَالآثِمِينَ وَالظَّالِمِينَ عَنْ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ».

ثم أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى أعداء الإسلام، الذين يدعون إلى النار وقال: «مَعَاشِرَ النَّاسِ سَيَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُون».

ثم أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى وثيقة صحيفة المؤامرة التي كتبها بعض صحابته في حجة الوداع في مكة ووقّعوا عليها، فقال: «...مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ وَأَنَا بَرِيئَانِ مِنْهُمْ مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّهُمْ وَأَنْصارَهُمْ وَأَشْيَاعَهُمْ وَأَتْبَاعَهُمْ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ أَلاَ إِنَّهُمْ أَصْحَابُ الصحِيفَةِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ فِي صَحِيفَتِهِ...».

الفقرة السابعة

ثم بيّن صلى الله عليه وآله وسلم في الفقرة السابعة بركات ولاية أهل البيت عليهم السلام ومحبتهم، وتلا على الناس سورة الحمد التي هي أمّ الكتاب وقال: «فِيَّ نَزَلَتْ وَفِيهِمْ وَاللهِ نَزَلَتْ وَلَهُمْ شَمَلَتْ وَإِيَّاهُمْ خَصتْ وَعَمَّتْ أُولَئِكَ أَوْلِيَاءُ اللهِ الَّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ وَحِزْبُ اللهِ هُمُ الْغالِبُونَ أَلاَ إِنَّ أَعْدَاءَهُمُ السُفَهَاءُ وَالْغَاوُونَ وَإِخْوَانُ الشَّيَاطِين».

ثم تلا صلى الله عليه وآله آيات من القرآن الكريم تتحدث عن أصحاب الجنة وأوضح أنّ المقصود بهم الشيعة وأتباع أهل البيت عليهم السلام,ثم تلا صلى الله عليه وآله وسلم آيات عن أصحاب النار وصرّح بأنّ المراد بهم أعداء أهل البيت عليهم السلام.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «...مَعَاشِرَ النَّاسِ أَنَا صِرَاطُ اللهِ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِاتِّبَاعِهِ ثُمَّ عَلِيٌّ مِنْ بَعْدِي ثُمَّ وُلْدِي مِنْ صُلْبِهِ أَئِمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ».

الفقرة الثامنة

وفي الفقرة الثامنة من خطبة الغدير تطرَّق صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذكر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فذكر أوصافه وبشَّر العالَم بالعدل والقسط على يده: فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «...أَلاَ إِنَّ خَاتَمَ الأَئِمَّةِ مِنَّا الْقَائِمُ الْمَهْدِيُ أَلاَ إِنَّهُ الظَّاهِرُ عَلَى الدِّينِ أَلاَ إِنَّهُ الْمُنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِينَ أَلاَ إِنَّهُ فَاتِحُ الْحُصُونِ وَهَادِمُهَا أَلاَ إِنَّهُ قَاتِلُ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ أَلاَ إِنَّهُ الْمُدْرِكُ بِكُلِّ ثَارٍ لأَوْلِيَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلاَ إِنَّهُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللهِ أَلاَ إِنَّهُ الْغَرَّافُ مِنْ بَحْرٍ عَمِيقٍ أَلاَ إِنَّهُ قَسِيمُ كُلِّ ذِي فَضْلٍ بِفَضْلِهِ وَكُلِّ ذِي جَهْلٍ بِجَهْلِهِ أَلاَ إِنَّهُ خِيَرَةُ اللهِ وَاللهُ مُخْتَارُهُ أَلاَ إِنَّهُ وَارِثُ كُلِّ عِلْمٍ وَالْمُحِيطُ بِهِ أَلاَ إِنَّهُ الْمُخْبِرُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمُنَبِّهُ بِأَمْرِ إِيمَانِهِ أَلاَ إِنَّهُ الرَّشِيدُ السَّدِيدُ أَلاَ إِنَّهُ الْمُفَوَّضُ إِلَيْهِ أَلاَ إِنَّهُ قَدْ بَشَّرَ بِهِ مَنْ سَلَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَلاَ إِنَّهُ الْبَاقِي حُجَّةً وَلاَ حُجَّةَ بَعْدَهُ وَلاَ حَقَّ إِلاَّ مَعَهُ وَلاَ نُورَ إِلاَّ عِنْدَهُ أَلاَ إِنَّهُ لاَ غَالِبَ لَهُ وَلاَ مَنْصُورَ عَلَيْهِ أَلاَ وَإِنَّهُ وَلِيُ اللهِ فِي أَرْضِهِ وَحَكَمُهُ فِي خَلْقِهِ وَأَمِينُهُ فِي سِرِّهِ وَعَلاَنِيَتِهِ...».

الفقرة التاسعة

ثم تطرَّق إلى مسألة البيعة في الفقرة التاسعة وبيَّن أهميتها وقيمتها فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «فَأُمِرْتُ أَنْ آخُذَ الْبَيْعَةَ مِنْكُمْ وَالصفْقَةَ لَكُمْ بِقَبُولِ مَا جِئْتُ بِهِ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ الَّذِينَ هُمْ مِنِّي وَمِنْهُ أَئِمَّةٌ قَائِمَةٌ مِنْهُمُ الْمَهْدِيُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَقْضِي بِالْحَقِّ».

وأشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى أنّ هذه بيعة الله قائلاً: «...مَعَاشِرَ النَّاسِ قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ وَأَفْهَمْتُكُمْ وَهَذَا عَلِيٌّ يُفْهِمُكُمْ بَعْدِي أَلاَ وَإِنَّ عِنْدَ انْقِضَاءِ خُطْبَتِي أَدْعُوكُمْ إِلَى مُصافَقَتِي عَلَى بَيْعَتِهِ وَالإِقْرَارِ بِهِ ثُمَّ مُصافَقَتِهِ بَعْدِي أَلاَ إِنِّي قَدْ بَايَعْتُ اللهَ وَعَلِيٌّ قَدْ بَايَعَنِي وَأَنَا آخِذُكُمْ بِالْبَيْعَةِ لَهُ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ».

الفقرة العاشرة

وفي الفقرة العاشرة من هذه الخطبة المباركة تنبَّأ صلى الله عليه وآله وسلم بمستقبل المسلمين وما سيواجهونه من مصاعب، فعيَّن لهم أمير المؤمنين عليه السلام المرجع في ذلك.

كما أوجب على المسلمين إبلاغ خطاب الغدير إلى غيرهم تطبيقاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ هو أعظم مصداق لذلك.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مَعَاشِرَ النَّاسِ أَقِيمُوا الصلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَئِنْ طَالَ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ فَقَصرْتُمْ أَوْ نَسِيتُمْ فَعَلِيٌّ وَلِيُكُمْ وَيُبَيِّنُ لَكُمْ الَّذِي نَصبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدِي وَمَنْ خَلَقَهُ اللهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ يُخْبِرُكُمْ بِمَا تَسْأَلُونَ عَنْهُ وَيُبَيِّنُ لَكُمْ مَا لاَ تَعْلَمُونَ».

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «...مَعَاشِرَ النَّاسِ أَنَا صِرَاطُ اللهِ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِاتِّبَاعِهِ ثُمَّ عَلِيٌّ مِنْ بَعْدِي ثُمَّ وُلْدِي مِنْ صُلْبِهِ أَئِمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ».

الفقرة الحادية عشر

وفي هذه الفقرة من الخطاب النبوي الشريف أخذ في أمر البيعة قائلاً: «قد أمرني الله عز وجل أن آخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقدتُ لعليٍّ أميرالمؤمنين ولمن جاء بعده من الأئمة».

ثم عيَّن عبارة فيها طاعة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام والمبايعة بالقلب واللسان واليد، والميثاق على عدم التغيير والشك والجحد وأداء هذه الأمانة إلى الأجيال.

ثم أمرهم أن يردِّدوا ما ذكره, فاستجاب المسلمون وفعلوا ما أمرهم به النبي صلى

الله عليه وآله وسلم وردَّدوا ما قاله، وتمَّت البيعة العامة بهذه الصورة، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم واقف على المنبر, وفي ختام الخطبة الشريفة دعا صلى الله عليه وآله وسلم للمبايعين كما دعا على المعاندين، وختم خطبته الشريفة بالحمد لله رب العالمين.

فبعد انتهاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خطبته ضج الناس قائلين: «نعم، سمعنا وأطعنا لأمر الله ورسوله بقلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وأيدينا».(الاحتجاج:٦٥/١)

أهدى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عمامته التي تسمى (السحاب) ووضعها على رأس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وألقى بحنكها على كتفه، على ما كان من عادة العرب عند إعلان رئاسة شخص.

ثم إنّ الحاضرين تزاحموا على النبي وأمير المؤمنين عليهما السلام وتسابقوا إلى البيعة والتهنئة بهذه المناسبة, ومن أجل تأكيد البيعة شرعياً ورسمياً أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الانتهاء من الخطبة أن تنصب خيمتان: إحداهما خاصة به والأخرى لأمير المؤمنين عليه السلام، وأمره بالجلوس فيها وأمر الناس بأن يهنِّؤوه ويبايعوه, وأقبل الناس مجاميع، كل مجموعة تدخل أولاً إلى خيمة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ويبايعونه ويباركون له هذا اليوم، ثم يذهبون إلى خيمة أمير المؤمنين عليه السلام ويهنِّؤونه ويبايعونه بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإمامة والولاية من بعده، ويسلِّمون عليه بإمرة المؤمنين.(الغدير:٥٨/١)

وظهر جبرئيل في الغدير بشكل رجل حسن الصورة طيب الريح واقفاً بين الناس وقال: «...إنَّهُ يَعْقِدُ عَقْداً لاَ يَحِلُّهُ إلاَّ كَافِرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ وَبِرَسُولِهِ وَيْلٌ طَوِيلٌ لِمَنْ حَلَّ عَقْدَهُ...».(الاحتجاج:٦٧/٢)

ثم أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مناديه أن يمشي بين الناس ويكرر عليهم جوهر بيعة الغدير بهذه العبارة: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَانْصرْ مَنْ نَصرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَه».

وفي ذلك اليوم تقدَّم حسّان بن ثابت الشاعر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستأذنه أن يقول شعراً بمناسبة الغدير، فأذن له وألقى حسان أول قصيدة عن الغدير في ذلك المكان لتبقى سنداً حياً وتاريخياً للواقعة.(سليم بن قيس:٨٢٩/٢)

واستمرت هذه المراسم ثلاثة أيام حتى شارك المسلمون الحاضرون جميعهم في البيعة, والنساء لم تستثن من البيعة حيث أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم النساء كذلك بالبيعة لعلي عليه السلام بإمرة المؤمنين وتهنئته، وقد أكَّد ذلك بصورة خاصة على زوجاته وأمرهن أن يذهبن إلى خيمته ويبايعنه!

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإحضار إناء كبير فيه ماء، وأن يضرب عليه بستار بحيث إنّ النساء كنَّ يضعن أيديهن في الإناء خلف الستار، وأمير المؤمنين عليه السلام يضع يده في الإناء من الجانب الآخر، وبهذه الصورة تمت بيعة النساء.

وهكذا تمت مراسم الغدير في ثلاثة أيام وعرفت بعد ذلك بـ(أيام الولاية)، وبقيت أحداثها إلى اليوم راسخة في الأذهان.



بقلم: محمد فاضل الزبيدي



مفردات من البسملة بين المعنى والتفسير

المفردتان: (الرحمن، الرحيم)

الرحمة لغة: رقّة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وهو وصف انفعالي وتأثّر خاص يلمّ بالقلب عند مشاهدة من يفقد أو يحتاج إلى ما يتمّ به أمره، فيحمل من اتّصف بها على الرفق بالمرحوم والإحسان إليه ودفع الضرّر عنه وإعانته على المشاقّ، فهي من الكيفيّات النفسانية، ولتلك الكيفية اندفاع يحمل صاحبها على أفعال وجودية بقدر استطاعته وعلى قدر قوّة انفعاله.

فأصل الرحمة من مقولة الانفعال، وآثارها من مقولة الفعل، فإذا وصف موصوف بالرحمة كان معناها حصول الانفعال المذكور في نفسه، وإذا أخبر عنه بأنه رَحِم غيره فهو على معنى صدر عنه أثر من آثار الرحمة.

وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رَحِم الله فلاناً، وإذا وصف به الخالق عزّ وجل فليس يُراد به إلاّ الإحسان المجرد دون الرقة.

وعلى هذا روي أنّ الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميّين رقّة وتعطّف.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذاكراً عن ربّه: «...يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا الرَّحْمَنُ وَأَنْتِ الرَّحِمُ شَقَقْتُ اسْمَكَ مِنِ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُه...».(معاني الأخبار:٣٠٢)

فالرحمة منطوية على معنيين: الرقّة والإحسان.

فركز تعالى في طبائع الناس الرقّة وتفرّد بالإحسان، فصار كما أنّ لفظ الرّحم من الرحمة، فمعناه الموجود في الناس من المعنى الموجود لله تعالى، فتناسب معناهما تناسب لفظيهما. (المفردات:١٩)

وعلى هذا فوصف الله تعالى بصفات الرحمة في لسان الشرائع إنّما هو تعبير عن المعاني العالية بأقصى ما تسمح به اللغات مع اعتقاد تنزيه الله عن أعراض المخلوقات بالدليل العامّ على التنزيه، وهو مضمون قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.[الشورى:١١]

فأهل الإيمان إذا سمعوا أو أطلقوا وصفي الرحمن الرحيم، لا يفهمون منه حصول ذلك الانفعال الملحوظ في حقيقة الرحمة في متعارف اللغة العربية؛ لسطوع أدلّة تنزيه الله تعالى عن الأعراض، بل إنّه يُراد بهذا الوصف في جانب الله تعالى إثبات الغرض الأسمى من حقيقة الرحمة وهو صدور آثار الرحمة من الرفق واللطف والإحسان والإعانة،

لأنّ ما عدا ذلك من القيود الملحوظة في مسمّى الرحمة في متعارف الناس لا أهمّية له، لولا أنّه لا يمكن بدونه حصول آثاره فيهم.

وهذا معنى ما ذكر أنّ أسماء الله تعالى إنّما أخذت باعتبار الغايات التي هي الأفعال والآثار، لا باعتبار مباديها التي تكون انفعالات.

عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل قال: «...إِنَّ الرَّحْمَةَ وَمَا يَحْدُثُ لَنَا مِنْهَا شَفَقَةٌ وَمِنْهَا جُودٌ وَإِنَّ رَحْمَةَ اللهِ ثَوَابُهُ لِخَلْقِهِ وَالرَّحْمَةَ مِنَ الْعِبَادِ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا يَحْدُثُ فِي الْقَلْبِ الرَّأْفَةُ وَالرِّقَّةُ لِمَا يُرَى بِالْمَرْحُومِ مِنَ الضُّرِّ وَالْحَاجَةِ وَضُرُوبِ الْبَلَاءِ وَالْآخَرُ مَا يَحْدُثُ مِنَّا مِنْ بَعْدِ الرَّأْفَةِ وَاللُّطْفِ عَلَى الْمَرْحُومِ وَالرَّحْمَةُ مِنَّا مَا نَزَلَ بِهِ وَقَدْ يَقُولُ الْقَائِلُ انْظُرْ إِلَى رَحْمَةِ فُلَانٍ وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْفِعْلَ الَّذِي حَدَثَ عَنِ الرِّقَّةِ الَّتِي فِي قَلْبِ فُلَانٍ وَإِنَّمَا يُضَافُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فِعْلِ مَا حَدَثَ عَنَّا مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَأَمَّا الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ فِي الْقَلْبِ فَهُوَ مَنْفِيٌّ عَنِ اللهِ كَمَا وَصَفَ عَنْ نَفْسِهِ فَهُوَ رَحِيمٌ لَا رَحْمَةَ رِقَّةٍ...».(بحار الأنوار:٣/١٩٦)

الفرق بين الرحمن والرحيم

هناك عدة فروق بين هذين الاسمين:

الفرق الأول

ذكر جمع من المفسرين أنّ (الرحمن) والأسماء الخاصّة به تعالى لا يسمّى به غيره، بخلاف مثل الرحيم والراحم.

وممّا يرشد إلى هذا الفرق أنّنا لا نجد في القرآن موضعاً جيء باسم (الرحمن) لسواه تعالى، بل في كلّ مواضع استعماله عنى به نفسه المتعالية.

أمّا اسم (الرحيم) فقد وصف به رسوله الكريم صلى الله عليه وآله قال تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.[التوبة:١٢٨]

ووصف به المؤمنين أيضاً، قال جلّ جلاله: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.[الفتح:٢٩]

وهو جمع (رحيم) كشرفاء جمع شريف، فجاز وصف سواه به، وكذا تسميته دون اسم (الرحمن) فإنّه لا يجوز التسمية لغير الله تعالى.

وهذا ما نطقت به بعض الروايات أيضاً، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «الرَّحْمَنُ اسْمٌ خَاصٌّ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ وَالرَّحِيمُ اسْمٌ عَامٌّ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ».(المصباح للكفعمي:٣١٧)

الفرق الثاني

إنّ لفظ (الرحمن) في موضع الانفراد يغلب عليه العلميّة على حدّ لفظ الجلالة؛ قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾.[الرحمن:١-٢]

وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.[طه:٥]

وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً...﴾.[الزخرف:٣٦]

وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ...﴾. [الفرقان: ٦٣]

وغيرها من الآيات، حيث تجد بها الدلالة الكاملة على الذات المقدّسة كدلالة لفظ الجلالة التي تعطي العلميّة جليّاً بدون خفاء.

ولعلّ في قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[الإسراء:١١٠]، ما يدل على هذه الحقيقة.

فإنّ سبب نزول هذه الآية على رواية ابن عباس أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان من دعائه وهو بمكّة: «يا الله يا رحمن» فاعترض المشركون عليه وقالوا: انظروا إلى هذا الصابي ينهانا أن ندعو إلهين، فنزلت آية التسوية بأنّ «الله والرحمن» اسمان له تعالى، وأنّهما سيّان في الدلالة على الله تعالى.

لذا قيل: إنّ كلمة (الرحمن) بمنزلة اللقب من الله سبحانه فلا تطلق على غيره تعالى، ومن أجل ذلك استعملت في كثير من الآيات الكريمة من دون لحاظ مادّتها؛ قال سبحانه: ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَن مِن شَيْءٍ...﴾.[يس:١٥]

وقوله تعالى: ﴿...إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ﴾.[يس:٢٣]

وقوله تعالى: ﴿...هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.[يس:٥٢]

وقال تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ...﴾.[الملك:٣]

ومما يقرّب اختصاص هذا اللفظ به قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.[مريم:٦٥]

فـإنّ الملحـوظ أنّ اللـه تعالـى قـد اعتنـى بكلمـة (الرحمـن) فـي سـورة مريـم حتّـى كرّرها فيهـا سـتّ عشـرة مـرّة، وهـذا يقـرّب أنّ المـراد بالآيـة الكريمـة أنّه ليـس للـه سـمّي بتلـك الكلمـة.

وأمّا عنـد الانضمام إلى (الله) في غير آية التسـوية مثـل ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أو إلى (الرحيم) في غير البسـملات مثل قولـه تعالـى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.[فصلت:٢]

أو قوله تعالى: ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.[الحشر:٢٢]

فـإنّ الغالـب علـى لفـظ (الرحمـن) الوصفيّـة دون العلميّـة.

هـذا كلّـه بالنسبة إلـى لفـظ (الرحمـن) فـي موضـع العلميّـة أو الوصفيّـة بانضمامـه إلـى اسـم آخـر أو انفـراده.

أمّـا اسـم (الرحيـم) ففـي المواضـع كلّها هـو وصف له تعالـى، ولا يوجـد فـي القرآن موضـع ذكـر منفـرداً، بل هو دائمـاً منضمّ إلى اسـم (الربّ) أو (الغفـور) أو (الـودود) كبقيّة أسـمائه الحسـنى المنضـمّ بعضهـا إلى بعض مثـل قوله: ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[النور:٦٢]

وقوله تعالـى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.[الشـعراء:٩]

وقال تعالى أيضاً: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾.[سبأ:١٥]

فهـذه الآيـات وغيرهـا متماثلـة فـي الجهـة الوصفيـة والدلالـة عليـه بالانضمـام إلاّ فـي صـورة النـداء أو الاسـتغاثة أو اليميـن أو غيرهـا ممّـا لـه الانطبـاق الذاتـي عليـه تعالـى كقولـك: «يـا ربّ، يـا رحيـم» وغيـر ذلـك.

وهـذا التحليـل الـذي ذكـر في هـذا الفرق إنّمـا هـو مـن بـاب ظهـور الأسـماء والأوصـاف، وأمّـا التحقيـق الواقعـي وبالـذات فالـكلّ ينتهـي إليـه تعالـى، لا يبقـى لأحـد مـن جمـال أو كمـال أو حسـن إلاّ ويرجـع إلـى اللـه وحـده.

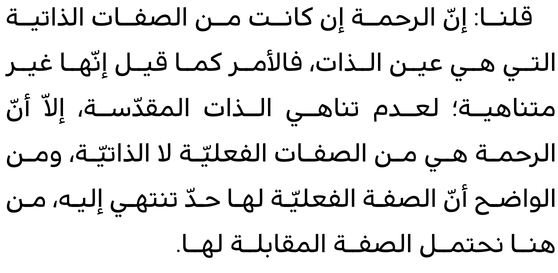
الفرق الثالث

التمييـز بيـن هذيـن الاسـمين مـن خـلال دلالتهمـا علـى الرحمـة الثابتـة لـه تعالـى، وقـد ذكـرت فـي كلمـات الأعـلام وجـوه:

الوجه الأول

إنّ (الرحمـن) صيغـة مبالغـة تـدلّ علـى ثبـوت الرحمـة وكثرتهـا، و(الرحيـم) صفـة مشـبّهة تـدلّ على الثبـات والبقـاء، ومـن خصائـص صيغـة (فعـلان) أنّهـا تسـتعمل فـي اللغـة للصفـات العارضـة مثـل: (عطشـان، غرثـان، غضبـان) أمّـا صيغـة فعيـل فإنّها تسـتعمل غالبـاً فـي الغرائـز واللـوازم غيـر المنفكّـة كالأخـلاق والسـجايا فـي النـاس مثـل: (عليـم، حكيـم، حليـم، قديـر، شـريف،وضيع، سـخيّ، بخيـل...).

وعليـه فالفـارق بيـن الصفتيـن: أنّ (الرحيـم) يـدلّ علـى لـزوم الرحمـة للـذات وعدم انفكاكهـا عنهـا، و(الرحمـن) يـدلّ علـى ثبـوت الرحمـة فقـط.



فـإن قيـل: إنّ هـذا التمييـز وإن كان صحيحـاً بالنسـبة إلـى الـذات اللفظيـن حيـن الإطـلاق علـى المخلـوق، وأمّـا مـن حيث إضافتهمـا إلـى اللـه عـزّ وجـل فـلا وجـه للمبالغـة بالنسـبة إليـه تعالـى، لأنّ صفاته بالنسـبة إليـه تعالـى غيـر محـدودة فـلا تجـري المبالغـة فيهـا.

قلنـا: إنّ الرحمـة إن كانـت مـن الصفـات الذاتيـة التـي هـي عيـن الـذات، فالأمـر كمـا قيـل إنّها غيـر متناهيـة؛ لعـدم تناهـي الـذات المقدّسـة، إلاّ أنّ الرحمـة هـي مـن الصفـات الفعليّـة لا الذاتيّـة، ومـن الواضـح أنّ الصفـة الفعليّـة لهـا حـدّ تنتهـي إليـه، مـن هنـا نحتمـل الصفـة المقابلـة لهـا.

فعـن صفـوان عـن الكاهلـي قـال: (كتبـت إلـى الإمـام أبـي الحسـن الرضـا عليـه السـلام فـي دعـاء: الحمـد للـه منتهـى علمـه، فكتـب إلـيّ: «لا تقولـنّ منتهـى علمـه، ولكـن قُـل: منتهـى رضاه».(بحـار الأنوار:٤/٨٢)

هـذا مضافـاً إلـى أنّ القـرآن لا يخـرج عـن الأسـلوب العربـي البليـغ فـي الحكايـة عـن صفـات اللـه عـزّ وجـلّ التـي تعلـو عـن مماثلـة صفـات المخلوقيـن.

فلفظ (الرحمن) يدلّ على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل وهي إضافة النعم والإحسان، ولفظ (الرحيم) يدلّ على منشأ هذه الرحمة والإحسان، وعلى أنّهم من الصفات الثابتة له تعالى، وبهذا لا يستغنى بأحد الوصفين عن الآخر ولا يكون الثاني موكّداً للأوّل.

بعبارة أخرى: إذا وُصف الله جلّ ثناؤه بـ(الرحمن) فإنّه يفهم منه أنّه المفيض للنِّعم فعلاً، لكن لا يثبت أنّ الرحمة من الصفات الثابتة له دائماً؛ لأنّ الفعل قد ينقطع إذا لم يكن عن صفة لازمة ثابتة وإن كان كثيراً، فإذا أضيف إليه (الرحيم) يعلم أنّ لله صفة ثابتة هي الرحمة التي عنها يكون أثرها وإن كانت تلك الصفة على غير صفات المخلوقين، فيكون ذكرها بعد (الرحمن) للتدليل على أنّ هذه الإنعامات دائميّة عامّة لعامّة العالم، لأنّ منشأها صفة دائميّة ثابتة، ومقتضى ثبوت العلّة ثبوت المعلول وبدوامها دوامه.

وبهذا تتّضح نكتة الجمع بين هذين الاسمين الكريمين بهاتين الصيغتين.

الوجه الثاني

إنّ الرحمن الرحيم هما اسمان مشتقّان من الرحمة وهي النعمة التي يستحقّ بها العبادة، وهما موضوعان للمبالغة، وفي (رحمن) خاصّة مبالغة يختصّ الله بها.

وقيل: إنّ تلك المزيّة من حيث فعل النعمة التي يستحقّ بها العبادة لا يشاركه في هذا المعنى سواه.

وقيل في معنى الرحيم: لا يكلّف عباده جميع ما يطيقونه، فإنّ المَلك لا يوصف بأنّه رحيم إذا كلّف عبيده جميع ما يطيقونه.

وإنّما قدّم (الرحمن) على (الرحيم) لأنّ وصفه بالرحمن بمنزلة اسم العلم من حيث لا يوصف به إلاّ الله تعالى، فصار بذلك كاسم العلم في أنّه يجب تقديمه على صفته.

الوجه الثالث

إنّ الرحمة الرحمانيّة، عبارة عن إفاضة الوجود على الأشياء وإبقائها وإكمالها بالكمالات اللائقة بفطرتها، وهذا عامّ لجميع الأشياء دنيويّة كانت أو أخرويّة، أناسي كانت أو غيرها، ولذلك قال: ﴿الرَّحْمَنِ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.[طه:٥]

حيث أشارت إلى أنّ مقام الاستواء على العرش الذي هو إحاطة ملكه بكلّ شيء وانبساط تدبيره على الأشياء، سماويّها أو أرضيّها، جليلها ودقيقها، وخطيرها ويسيرها إنّما هو من آثار مقام الرحمة الرحمانيّة.

بخلاف الرحمة الرحيميّة فإنّها مختصة بالإنسان ومن كان مثله سالكاً إلى الرحمن، وبحال كونه على رضاه.

وبتعبير آخر: إفاضة الكمالات الاختياريّة المرضية على المختارين من الإنس والجنّ.

وهناك جملة من الروايات تثبت هذا المعنى:

عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: «الْبَاءُ بَهَاءُ اللهِ وَالسِّينُ سَنَاءُ اللهِ وَالْمِيمُ مُلْكُ اللهِ وَاللهُ إِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ وَالرَّحْمَنُ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ وَالرَّحِيمُ بِالْمُؤْمِنِينَ خَاصَّة».(تفسير القمي:٢٨/١)

وروى الصدوق بإسناده عن الإمام العسكري عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم أفضل الصلاة والسلام أنّه قال: «(الرَّحْمَنِ) الَّذِي يَرْحَمُ بِبَسْطِ الرِّزْقِ عَلَيْنَا... لاَ يَقْطَعُ عَنْهُمْ مَوَادَّ رِزْقِهِ، وَإِنِ انْقَطَعُوا عَنْ طَاعَتِهِ... (الرَّحِيمِ) بِنَا فِي أَدْيَانِنَا وَدُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا: خَفَّفَ اللهُ عَلَيْنَا الدِّينَ، وَجَعَلَهُ سَهْلاً خَفِيفاً، وَهُوَ يَرْحَمُنَا بِتَمْيِيزِنَا مِنْ أَعْدَائِهِ».
(تفسير الإمام العسكري عليه السلام:٢٨-٣٢)

من هنا حاول البعض أن يفسّر ما روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّ «الرحمن اسم خاصّ بصفة عامّة، والرحيم اسم عامّ بصفة خاصّة»، بهذا الوجه حيث قيل: إنّ المراد من قوله عليه السلام: «الرحمن اسم خاصّ» أي لا يطلق على غيره تعالى، والمقصود من قوله: «بصفة عامّة» لأنّ رحمته وسعت كلّ شيء؛ و«الرحيم اسم عامّ» لإطلاقه على غيره تعالى أيضاً، والصفة الخاصّة يعني اختصاصها بالمؤمنين.

ومن أهمّ النتائج المترتّبة على هذا الوجه أنّ الرحمة الرحيميّة تختصّ بالرضا الذي يقابل الغضب، بخلاف الرحمة الرحمانيّة فإنّها تشمل الرضا والغضب الإلهي، لأنّها إفاضة الوجود بحسب استعداد المحلّ، وهو قد يصير غضباً كما في الإنسان العاصي، وقد يكون رضاً كما في المطيع.

بقلم: جلال الحسيني



حق الكبير توقيره لسنّه

تُعدّ التربية سلوكاً اجتماعياً أو ظاهرة فردية ذلك لأنه لا يتم في فراغ أو دون وجود المجتمع إذ لا وجود لهذا السلوك إلا بوجود المجتمع.

وفضلاً عن ذلك فإنّ وجود الإنسان الفرد المنعزل عن مجتمعه أو جماعته لا يمكن تصوره إذ إنّه مستحيل بلا خرافه.

فالتربية في كل أحوالها لا تهتم بالفرد منعزلاً عن المجتمع بل تهتم بالفرد والمجتمع معاً وفي وقت واحد ومتزامن من خلال اتصال الفرد بمجتمعه وتفاعله معه سلباً أو إيجاباً.

فالتربية مجموعة ظواهر وسلوك تقوّم العلاقة بين الفرد والمجتمع أو بين الفرد والفرد الآخر، سواء كانت هذه الظاهرة بين أفراد الأسرة الواحدة أو بين أفراد الجيران أو المنطقة والمدينة أو البلد والبلدان الأخرى.

فمن هنا تعدّ الأسرة إحدى الوحدات الأساسية لبنيان هذا السلوك، يمكن دراستها استناداً إلى الأفعال الاجتماعية الصادرة عن أعضائها فهذه الأفعال من شأنها أن تؤدي إلى ظهور التفاعل بين أفراد الأسرة الواحدة وبالتالي تحديد العلاقات التي تربطهم ببعضهم البعض بحيث تنتج علاقات زوجية، أبوية وأخوية.

ويكون التفاعل الذي يكتسب من خلاله الأبناء أساليب ومعايير السلوك والقيم المتعارف عليها في جماعة الأسـرة، بحيث يستطيعون العيش فيها والتعامل مع أعضائها بقدر مناسب من التناسق والنجاح، كما يتشرب الأبناء من البيئة الأسرية بفعل التنشئة القيم والمعايير

قـال الإمـام علـي بـن الحسـين عليهما السـلام: «حق الكبير توقيره لسنّه، وإجلاله لتقدمـه في الإسـلام قبلك»

والقواعد الموجهة والضابطة للأفعال والسلوكات، والجو الأسري يؤثر في نمو الابن وفي سلوكه واتجاهاته، كما هذا مرتبط أشد الارتباط بالأنماط والأساليب التي يؤدي

بها الوالدان أدوارهما المنوطة بهما، وقد نجد عدة أنماط فنجد تنشئة قائمة على التخلف والمفاهيم الخاطئة، وتنشئة سلبية، وأخرى منحرفة وهي التي يسود فيها الغش والخداع والانتهازية والكذب، وتنشئة متناقضة فيما ينشأ عليه الولد وما يوجد عند بعض فئات المجتمع والتناقض في القول والفعل للآباء، وتنشئة مبنية على الثقافة الهدامة.

نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وآله ليبيّن هذه المفاهيم التربوية للمجتمع، فالمجتمع المسلم هو المتكوّن من مجموعة أفراد يربطهم قانون إلهي سماوي بمعايير ثابتة ومنظّمة حفاظاً على حقوق الآخرين فيما بينهم.

فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام في بيان تربية الأولاد جاء قوله: «ليتأسّ صغيركم بكبيركم، وليرأف كبيركم بصغيركم».(الخطبة:١٦٤،٢٢٩)

أكّد عليه السلام على اقتداء الصغير بالكبير، وقد يفهم من حديث الإمام عليه السلام بعض الأمور منها ما يلي:

أولاً: حثّ الإمام عليه السلام على اقتداء وحذو الصغير بالكبير.

ثانياً: لا يعني الكبير من حيث العمر والسن، بل يفهم من الحديث الشريف أنّ الكبير بالعقل والفهم والإدراك والحكمة، فمما لا شكّ فيه أنّ الاقتداء بالمجنون والسفيه غير مقبول شرعاً وعقلاً.

ثالثاً: هناك طبقات مختلفة في المجتمع على الإنسان أن يبدأ بها منها:

أ: العائلة.

ب: الأرحام.

ج: الأصدقاء.

د: المدرسة.

هـ: المجتمع.

رابعاً: المقصود من الكبير هو الكبير العاقل ذو الخبرة والتجربة والحكمة.

خامساً: توقير الكبير من أجل التقدّم في السن وذلك لتقدمه في الإسـلام، ولد قبل أعوام ودخل في الإسلام، فيفهم من قول الإمام أنّ الدخول في الإسلام له بعض الخصوصية والتميز في الحقوق.

سادساً: أما حق الصغير على الكبير منه أنْ يحنّ ويشفق عليه.

سابعاً: أن يتجاوز عما فعله الصغير من أخطاء في حياته، بسبب عدم التجربة والحكمة والخبرة الكاملة في الحياة.

ثامناً: عليه أن يرحمه ويعطف عليه وأن لا يظلم الصغير فـإنّ حق الصغير لصغر سنّه أن يتجاوز عن أخطائه وموبقاته.

تاسعاً: هناك بعض الأمور لا يمكن للإنسان أن يغض النظر عنها، كالخطوط الحمراء المرسومة في بعض مواضيع الشريعة الإسلامية.

فقد ورد عن الإمـام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام قوله: «وحق الكبير: توقيره لسنّه، وإجلاله لتقدمه في الإسلام قبلك، وترك مقابلته عند الخصام، ولا تسبقه إلى طريق ولا تتقدمه ولا تستجهله، وإن جهل عليك احتملته وأكرمته لحق الإسلام وحرمته. وحق الصغير: رحمته في تعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به والمعونة له».(رسالة الحقوق:٣٤٢)



شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

بالتواضع تتم النعم

قال الإمام السجاد صلوات الله عليه: «اللهم لا ترفعني في الناس درجه إلاّ حططتني عند نفسي مثلها ولا تحدث لي عزة ظاهرةً إلاّ أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها». (دعاء مكارم الأخلاق)

الله جل جلاله سنّ قوانين ملكوتية على البشر وحذّره من تطبيق هذه القوانين بأحسن صور وأوكل على تنظيم تلك القوانين شخصيات ربانية سماوية من سنخية السماء لأنّه عزّ وجل تنزّه عن مجانسة مخلوقاته.

فهناك لائحتان أمام الإنسان لذلك الملك وهو محمد صلى الله عليه واله لائحة يحبها ويأمرنا بالعمل بها والأخرى ينهانا عن العمل بها فنحن سنتكلم عن إحدى الصفات التي يحبها الرب الجليل ويأمرنا بالعمل بها وهي صفه التواضع.

فالتواضع: هو تخشع وتذلل عكسه تكبر ولا يتكبر إلاّ كل وضيع ولا يتواضع إلاّ كل رفيع، وتواضع الرجل أظهر الحشمة من دون تكبر يتواضع مع الناس على رغم علمه وماله.(معجم المعاني الجامع)

وهي إظهار التنزّل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه والتواضع صفه محمودة تدل على طهارة النفس وتدعو إلى المودة والمحبة والمساواة بين الناس ويحثّ على نشر الترابط بينهم ويمحو الحسد والبغض والكراهية من قلوب الناس، وهي صفة أن لا يذكر الإنسان منزلته الطبيعية في المجتمع بل يذكر أدنى منها تواضعاً منه والتواضع على درجات الأولى مع الله سبحانه وتعالى يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه واله: «ما تواضع أحد لله إلاّ رفعه الله تعالى». (بحار الأنوار:٧٥)

فعلينا أن نتواضع تجاه الرب ولا نتكبر وبذلك يرفعنا الله سبحانه وتعالى إلى أعلى الدرجات.

قال النبي صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَتَى غَنِيّاً فَتَضَعْضَعَ لَهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِه»

وقال الشاعر:

تواضع لرب العرش تملك ترفع

فما خاب عبد للمهيمن يخضع

والدرجة الثانية التواضع لأهل البيت صلوات الله عليهم فمهما يصل الإنسان بدرجات من العلم عليه أنْ لا ينسى أنّ الفضل راجع لهم صلوات الله عليهم كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «بالتواضع تتم النعم». (ميزان الحكمة:٣٣١٨/٤)

أي بالتواضع لهم صلوات الله عليهم تتم النعمة منهم علينا وكلما كان الإنسان أكثر خضوعاً وعبودية كلما تمت النعمة عليه وزادت أكثر للتعرف عليهم وللطاعة والتسليم لهم صلوات الله عليهم أجمعين.

ولكي يتوصّل الإنسان إلى هذه المرتبة العالية من التواضع لهم صلوات الله عليهم ولله جل وعلا عليه أنْ يبدأ بالتواضع من أقلّ رتبة صعوداً إليهم.

وهنا هذه الدرجة الثالثة من التواضع ألا وهي التواضع مع النّاس بدءاً من الوالدين قال الله عزّ وجل: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾.[الإسراء:٢٤]

ثم العلماء والفضلاء ثم إلى أقلّ رتبة بالمجتمع، وأن يتواضع الإنسان للصغير والكبير، وللشاب وذي الشيبة.

إذن علينا أن نصل إلى درجة الذل مع الوالدين ونخضع لهما لكي نتمكن من الخضوع والتذلل والتواضع لأهل البيت صلوات الله عليهم ويكون علينا سهلاً ويسيراً، يقول الإمام زين العابدين صلوات الله عليه: «اللهم لاَ تَرْفَعْنِي

مهما يصل الإنسان بدرجات من العلم عليه أنْ لا ينسى أنّ الفضل راجع لأهل البيت عليهم السلام

فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلاَّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا»، تواضعاً منّا لكي لا يصيبنا التكبّر والعجب كلّما ازددنا درجة علمية أو غيرها بين الناس، كذلك علينا أن نطلب من الله تعالى أن يحط لنا عند أنفسنا مثلها وأن يجعلنا نشعر بأنّنا مقصرون في حقه.

وقال عليه السلام: «وَلاَ تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إِلاَّ أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا»، وذلك بقدر العزّة الظاهرية التي تحدث، ربّي أحدث لنا ذلة في باطننا لكي نكسر جماح الأنا في داخلنا.

روي أنّ الملاّ محمد صالح المازندراني كان فقيراً جداً وخالي اليدين وكان يرتدي الملابس العتيقة الممزّقة فكان لا يشارك في مجلس الدرس خجلاً وحياءً بل كان يجلس خارج المدرسة ويستمع إلى درس الأستاذ وكان يكتب تحقيقاته على أوراق الأشجار وقد ظن سائر الطلاب أنّ هذا الرجل شحاذ وفقير قد جاء ليستجدي وقد واجه الأستاذ الملا محمد تقي المجلسي إشكالاً في مسألة خاصّة في أحد الأيام فأحال حلها إلى اليوم التالي وفي اليوم الثاني لم يتوصل إلى حل المسألة فأحيلت إلى اليوم الثالث، في هذه

قال الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: «اللهم لاَ تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلاَّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا»

الأثناء دخل أحد طلاب المدرسة إلى الملا صالح فوجد أمامه أوراق الصفصاف فأخذ اثنتين أو ثلاثاً من أوراق الصفصاف فوجد فيها حل المشكلة المعضلة فذهب إلى مجلس الدرس وطرحت المسألة ولم يتمكن أحد من إيجاد الحل لها ثم بدا ذلك الطالب ببيان حل المسألة فتعجب الملا محمد تقي المجلسي وأصر على القول بأنّ هذا الجواب ليس من عندك بل هو من شخص آخر تعلمته منه فمن هو؟ وأخيراً نقل ذلك الطالب قضيه الملا محمد صالح ولما اطلع الآخوند المجلسي على كيفيه حال الملا محمد صالح ورآه جالساً خارج معهد الدرس أرسل على الفور أن يحضروا له الملابس وطلب منه أن يدخل معهد الدرس واستمع منه حل هذا الإشكال شفاهاً وبعد ذلك عين له المجلسي حقوقاً شهرية وقربة واشتهر بالعلم والفضل. (قصص وعبر للبحراني:١٢٥)

إنّ الذي زاده تقرباً ومحبة هو تواضعه وثمرة هذا التواضع نال المحبة في قلب أستاذه وزملائه كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه «ثمره التواضع المحبة».(غرر الحكم:٢١٤)

هذا التواضع الذي وصّى به أهل البيت عليهم السلام، وقد نهّى الدين عن التواضع من أجل المصلحة أو المال والجاه.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في وصية لأمير المؤمنين عليه السلام: «...مَنْ أَتَى غَنِيّاً فَتَضَعْضَعَ لَهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِه...».(تحف العقول:٨)

شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية



الظلم أسبابه وعلاجه

الظلم يعتبر أحد الذنوب العظيمة التي حذر منها الله عزّ وجل ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فالظلم هو أكثر ما يجلب القهر والألم لقلب المظلوم، كما أنّ للمظلوم دعوة لا تُرّد.

معنى الظلم لغةً واصطلاحاً

الظلم لغة معناه مجاوزة الحد والجور، أما اصطلاحاً فيعرف بأنّه التعدي على الحق للباطل؛ أي الجور، كما يعرف بأنّه وضع الشيء في غير موضعه الخاص به إمّا بعدول عن مكانه أو وقته، وإمّا بزيادة أو نقصان، وأيضاً يعرف بأنّه التصرُّف في ملك الغير.

وقيل: ظُلْم اسم جمعه ظلْمَاءُ بمعنى جور، وعدم الإنصاف عدواناً وظلماً، وانتهاك حق الآخر عدواناً، ومصدر ظلم: ظلَمَ.

من أنواع الظلم

هناك أنـواع مختلفة من الظلم، فتارة قد يكون ظلم الإنسان فيما بينه وبين الله تعالى عندما يكفر أو يشرك لذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. [لقمان:١٣]

و يقول البارئ عز وجل ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. [هود:١٨]

وتارة يظلم الآخرين ويعتدي على حقوقهم وربما على حياتهم بكلمة أو فعل قد يصدر منه لذلك ينهى البارئ عز وجل عباده عن الظلم والاقتراب منه ويعدهم بعذاب أليم: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[الشورى:٤٢]

وفي النوع الثالث يظلم الشخص نفسه كما ورد في القرآن الكريم: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾.[فاطر:٣٢]

الظلم هو مجاوزة الحد والجور، ويعرف بأنّه التعدي على الحق للباطل

من آثار الظلم

من آثار الظلم هو الاضطراب النفسي والقلق المستمر؛ لأنّ الظالم يعيش حياته في السيئات والمعاصي مما يفسد قلبه.

كذلك الحرمان من التوفيق، والانتقام في الدنيا والآخرة، فضلاً عن فقدان المعين والنصير والشفيع، والندم والحسرة بعد أن يفوت الأوان.

كيفية علاج الظلم

من علاج الظلم ما يلي:

١. التوبة إلى الله من خلال الابتعاد مباشرة عن الظلم، وردّ المظالم إلى أصحابها.

٢. تربية النفس على عادة المراقبة لله في السر والعلن.

٣. التقرب من الله ومعايشة القرآن الكريم وسيرة أهل البيت عليهم السلام.

٤. النظر إلى مصائر الظالمين، والنظر في أحوال الأُمم التي تأبى الظلم.

٥. إعانة الظالم على التخلص من ظلمه.

٦. التذكير بآثار وعواقب الظلم، وجاء قوله تعالى: ﴿وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.[الأعراف:١٦٤]

قال الشاعر:

ستعلم يا ظلوم إذا التقينا
غـداً عند الإلـه من الظلوم

هناك أنواع مختلفة من الظلم، فتارة قد يكون ظلم الإنسان فيما بينه وبين الله تعالى عندما يكفر أو يشرك، وتارة يظلم الآخرين ويعتدي على حقوقهم، وتارة يظلم الشخص نفسه

أما والله إنّ الـظُّـلـم شـؤمٌ
وما زال المسيء هو الظَّلوم

إذن على العبد أن يدرك بأنّ البارئ عز وجل منزه عن الظلم ويكره الظالمين ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾. [النساء:٤٠] وقال تعالى: ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ﴾. [آل عمران:١٠٨]

أولاً: أن يتعلم الإنسان العلوم كي يخرج من ظلمات الجهل ليعرف ماذا يحدث حوله ويكون حاذقاً لكي يدرك خطوات الآخرين لأنّ الظالم بكياسة وذكاء يستولي على أموال الآخرين ويظلمهم باتباع حيل ولكن عندما يتسلح الإنسان بالذكاء والكياسة فإنّه يفوت على الشخص الظالم الكثير وهناك قصص كثيرة تتكلم عن أناس أذكياء استطاعوا أن يقضوا على الظلم وظلّت أسماؤهم عالقة في مزبلة التاريخ.

ثانياً: استخدام لغة واضحة في أخذ الحق من الظلمة بأن يتكلم الإنسان بوضوح ولغة فصيحة ليدافع عن حقه لذلك هناك من يوكل محامياً للدفاع عن حقه إذا وجد عجزاً في مجاراة من ظلمه.

ثالثاً: يبتعد الإنسان عن الظالمين ومجاورتهم ويكون حذرا في التعامل معهم ويسأل الله أن لا يصبح منهم لأنّ هناك فئات تقترب من الظالمين رغبة في ما عندهم من أموال أو شهرة أو جاه.

ثالثاً: الاستعانة بالذكر والاستغفار كي يخرج الإنسان من الظلمات إلى النور ويجدد خلايا الرحمة في قلبه قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.[آل عمران:١٣٥]

رابعاً: النظر في سجل التاريخ ومعرفة سوء عاقبة الظالمين ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾.{مريم:٧١-٧٢]

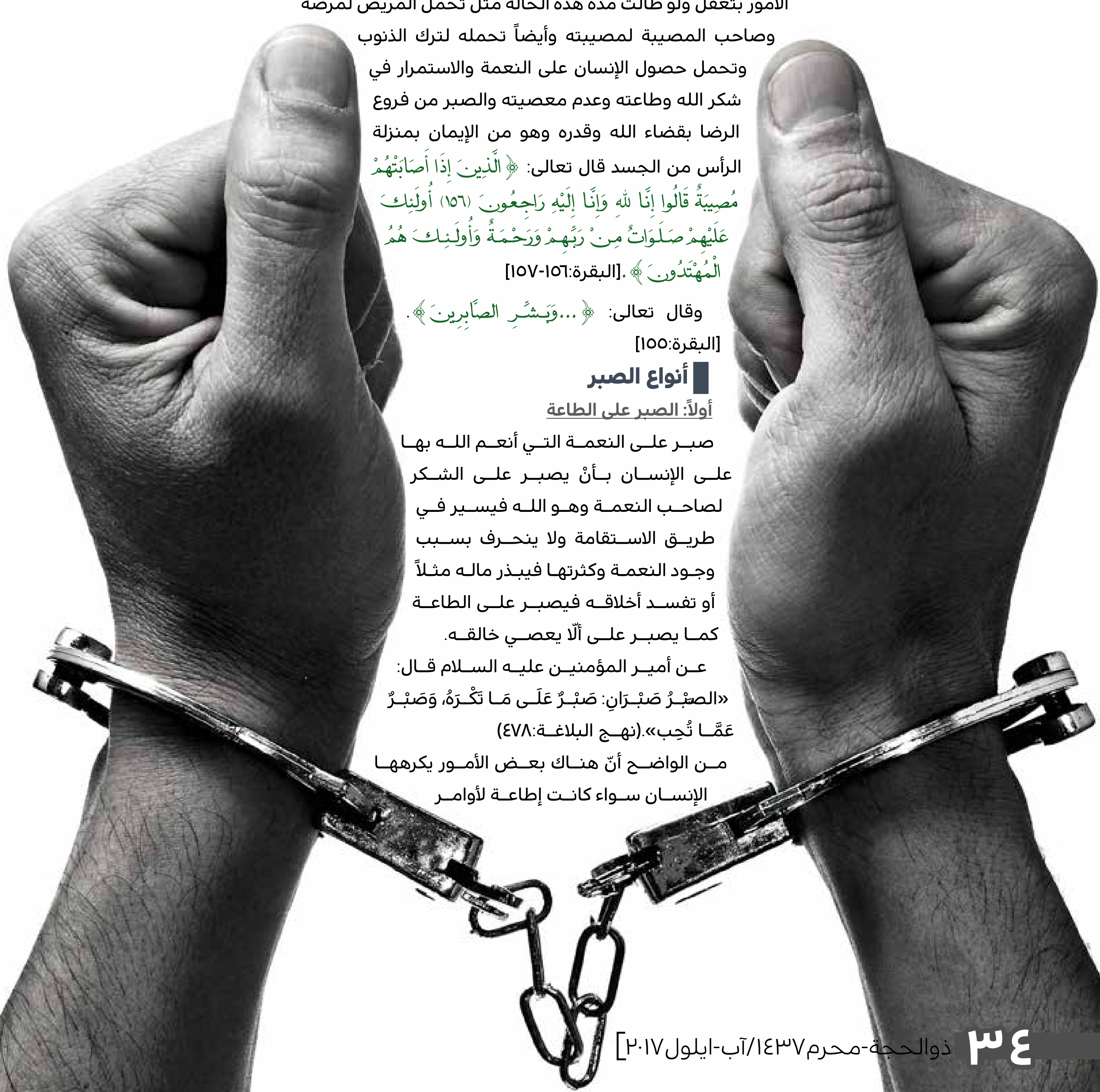
وقـال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «يَـوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ».(نهج البلاغة:٥١١)

كلما اشتد ظلام الليل أخبرنا بأنّ الصبح قريب وكلما فعل الظالم يجب أن يعرف نهايته اقتربت لأن عمر الظلم قصير، مهما طال الزمن.

والله هو الكافل بأن يأخذ حق المظلومين ويرفع من شأنهم وينصرهم ولو بعد حين يجب أن يتذكر الجميع أنّ الله يمهل ولا يهمل كما قال بعضهم دعوة المظلوم رصاصة لا تخطئ إنّها كالرصاصة القوية تسافر في سماء الأيام بقوة.. لتستقر بإذن ربها.. في أغلى ما يملك الظالم.

بقلم: أحمد عبد الحسن البحراني

الصبر مفتاح الفرج



الصبر هو حبس النفس عما تحب وترك الجزع عما تكره وهو تحمل الإنسان لحالة حدثت له تستدعي منه التحمل والهدوء ومعالجة الأمور بتعقل ولو طالت مدة هذه الحالة مثل تحمل المريض لمرضه وصاحب المصيبة لمصيبته وأيضاً تحمله لترك الذنوب وتحمل حصول الإنسان على النعمة والاستمرار في شكر الله وطاعته وعدم معصيته والصبر من فروع الرضا بقضاء الله وقدره وهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ .[البقرة:١٥٦-١٥٧]

وقال تعالى: ﴿...وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾. [البقرة:١٥٥]

أنواع الصبر

أولاً: الصبر على الطاعة

صبر على النعمة التي أنعم الله بها على الإنسان بأنْ يصبر على الشكر لصاحب النعمة وهو الله فيسير في طريق الاستقامة ولا ينحرف بسبب وجود النعمة وكثرتها فيبذر ماله مثلاً أو تفسد أخلاقه فيصبر على الطاعة كما يصبر على ألّا يعصي خالقه.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الصبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِب».(نهج البلاغة:٤٧٨)

من الواضح أنّ هناك بعض الأمور يكرهها الإنسان سواء كانت إطاعة لأوامر

المولى أم تجنباً عما نهى عنه الخالق عزّ وجل.

حينما يريد العبد أن يستيقظ لصلاة الصبح في أيام الشتاء البارد وهو يقوم ليتوضأ ويتهيأ للصلاة، فهذا نوع من أنواع الصبر على ما أمر الله به من الطاعة، فهذا صبر على طاعة الخالق عزّ وجل.

حينما يصبر الإنسان على الظلم هو صبره على ما يكره لما جرى عليه من المصاعب والآلام، فهذا الصبر أيضاً نوع من أنواع المحمود في الصبر.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّا وَجَدْنَا الصبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ أَهْوَنَ مِنَ الصبْرِ عَلَى عَذَابِ اللهِ عَزَّ وَجَل».(أمالي الصدوق:١٠٩)

الصبر على الطاعة أسهل من الصبر على عذاب الله عزّ وجل لأنّ عذابه لا يطاق، لا يمكن لأي موجود أنْ يتحمّل العذاب الإلهي.

هذا فضلاً عن أنّ الله تعالى برحمته ومغفرته يغفر الذنوب، ويصعب على الخالق أن يعذّب مخلوقه، لكن المرء يعذّب بأفعاله.

وقد أمره الله ببعض الواجب ونهاه عن المحرّمات، لكنه اتّبع الشيطان وأخذ طريق الشهوات وعمل بالمحرّمات وترك الواجبات، فبهذا استوجب العذاب الإلهي.

فإنّ الإنسان يصبر على إطاعة الله تعالى وأن يتحمّل الصعاب في هذه الطريق أهون وأسهل من أن يتحمّل العذاب الإلهي.

ثانياً: الصبر على عدم معصية الله

فمثلاً يصبر على أن لا يغتاب ولا يتكبّر ولا يكذب ولا يرتكب المحرّمات.

فعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: «اصْبِرُوا عَلَى عَمَلٍ لاَ غِنَى لَكُمْ عَنْ ثَوَابِهِ وَاصْبِرُوا عَنْ عَمَلٍ لاَ طَاقَةَ لَكُمْ عَلَى عِقَابِه».(مستدرك الوسائل:٢٦١/١١)

إنّ الحصول على الثواب هو ما يطلبه الإنسان في حياته، فالمؤمن المتّقي يعمل طوال اليوم ليحصل على أجر عمله وبذلك يفوز بالرضوان وجنان الخلد فضلاً عن تحقّق ما يرضي الله تعالى.

فمثلاً عندما يقوم في منتصف الليل لأداء صلاة الليل مع علمه بالثواب والأجر للمصلي، والاستمرار في هذه الصلاة، يكون مصداقاً للصبر على عمل لا يمكن أن يستغني عن ثوابه وأجره من الله تعالى.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «اصْبِرُوا عَلَى طَاعَةِ اللهِ وَاصْبِرُوا مِنْ مَعَاصِي اللهِ فَإِنَّمَا الدُّنْيَا سَاعَةٌ فَمَا مَضَى مِنْهَا فَلَسْتَ تَعْرِفُهُ فَاصْبِرْ عَلَى تِلْكَ السَّاعَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا وَكَأَنَّكَ قَدْ أُغْطِيتَ».(الزهد:٤٦)

فصبر الإنسان على عدم ارتكاب المعاصي بحدّ ذاته يحتاج إلى إرادة قوية، لأنّ غرائز الإنسان تميل إلى المعاصي مع العلم أنّ حصول اللذة في ارتكاب المعصية هي ثوانٍ أو جزء من الثانية، لكنّ النفس الأمارة بالسوء تخطو الخطوات لتصل إلى هذه اللذة القليلة.

وفي المقابل بعد الحصول على هذه اللذة سيهدم البناء الذي شيّده الله تعالى له في الجنة من الثواب والأجر والجزاء إزاء عدم ارتكاب هذه المعصية.

فتحمل الإنسان وحبس نفسه عن ارتكاب المعاصي يهيئ له الفوز بالأجر والجزاء في الجنان، وقد وصف الإمام الكاظم عليه السلام هذه الدنيا بساعة، فعلى المرء أن يتدبّر في حياته وسلوكه في الدنيا، كي لا يقع في هفوات النفس ومصيدة الشيطان، ويتجنب ما حرّمه الله له، ويعمل بما أوجبه به.

ثالثاً: الصبر على البلاء والمصائب والمشاكل

كل إنسان يعاني من هذه الأمور فإنْ أراد الراحة في الدنيا والثواب في الآخرة فعليه أنْ يصبر ويُسَلِّم أمره إلى الله ويتوكل عليه ويرضى بقضاء الله وقدره ويحاول أنْ يعالج الأمور بالصبر والتعقل والهدوء.

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِبَلاَءٍ فَصبَرَ عَلَيْهِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ أَلْفِ شَهِيدٍ».(الكافي الشريف:٩٢/٢)

فالصبر على البلاء فيه جوانب كثيرة، باختلاف الابتلاءات التي قد تصيب الإنسان.

فهناك صبر على بلاء قد ينزل على الإنسان نفسه، فهذا قد يؤثر في نفسه شيئاً من الانزعاج تجاه هذا البلاء، لكن الإمام الصادق عليه السلام يوصّي بالصبر والحكمة، وقد حدّد سلام الله عليه أجر هذا الصبر وهو أجر ألف شهيد.

أما الصبر الآخر فهو صبر الإنسان على بلاء نزل بشخص آخر، لكن قد يؤثر في حياته بشكل مباشر، كمن توفي له شخص عزيز.

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «الْجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ وَالصبْرِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا، دَخَلَ الْجَنَّةَ؛ وَجَهَنَّمُ مَحْفُوفَةٌ بِاللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، فَمَنْ أَعْطَى نَفْسَهُ لَذَّتَهَا وَشَهْوَتَهَا، دَخَلَ النَّارَ».(الكافي الشريف:٢٣١/٣)

فقسّم الإمام الباقر عليه السلام الجنة والنار بهذه الطريقة المثالية، حيث إنّ صبر الإنسان على ما يكرهه في دار الدنيا هو الذي ينجيه ويصل به إلى الجنة والرضوان.

أما بالنسبة للنار فالنتيجة بالعكس تماماً، فإنّ الإنسان في تتبّعه للذات الدنيا وشهواتها، أو النفس الأمارة بالسوء سوف يدخل النار، والسير خلف الشهوات هو عدم تزكية النفس عليها.

نتائج الصبر

إنّ كل واحد منّا بحاجة إلى الصبر لكي يستطيع أنْ يعيش في هذه الدنيا القصيرة المليئة بالمشاكل والاختبارات.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «... الصبْرُ شَجَاعَة...».(تحف العقول:٢٠٢)

إذا نظرنا إلى الآثار التي تتحقق من الصبر سواء كان الصبر على العبادة والطاعة، أو الصبر على عدم ارتكاب المعاصي والسير خلف الشهوات، يظهر لنا أنّ الصبر من الأمور المهمة في حياة الإنسان، بل كما وصفه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يعتبر الصبر (شجاعة).

والشجاعة هو عدم خوف الإنسان من شيء ما أو شخص ما، سواء من الله تبارك وتعالى أو غيره.

فالشجاع من استطاع ضبط نفسه عن المعاصي، بل أكثر من ذلك الاستمرار والمداومة على إطاعة الله في جميع ما أمره وتجنب المعاصي والمحارم كلها.

وما بعد الصبر إلاّ الفرج فصبر الإنسان على قضاء الله وقدره وحبس نفسه على البلاء يؤدي به إلى الفرج.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «إنَّ النَّصرَ مَعَ الصبْرِ وَإنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَإنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً».(من لا يحضره الفقيه:٤١٣/٤)

فصبر الإنسان أمام الشيطان والشهوات والملذات الدنيوية هو نصره الحقيقي، ولا يحتاج إلى شيء آخر.

فسلاح المؤمن هو ضبط نفسه أولاً عن المحارم.

ثانياً تربية الروح على التعبّد وحسن العبادة من أداء الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات.

كذلك صبر الإنسان في طاعة الله وعدم معصيته والاستمرار في شكر النعمة التي أنعم بها الله عليه يؤدي ذلك إلى زيادة النعمة الإلهية له.

أفضل الصبر

أفضل الصبر هو الصبر على الطاعة ثم الصبر على البلاء والمصائب.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أَفْضَلُ الأَعْمَالِ مَا أُكْرِهَتْ عَلَيْهِ النُّفُوس».(مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد:٤٢)

يحرص الإسلام على تهذيب النفس الإنسانية وكبح جماحها أمام مغريات الحياة ومتاعها الزائل، فهناك آيات وردت للتذكير بصفات حميدة يجب أنْ تتوافر في النفس المؤمنة التي تحرص على فعل الخير دائماً، تلك النفس التي تبتعد عن كبائر الإثم والفواحش، وتطيع الله وتستجيب لأوامره، وتقيم الصلاة، وتعمل على فعل الخير والإنفاق من رزق الله، وَتَتَّصِفُ بالقوة والعزة والانتصار من الظالم، وأشادت الآيات بالعفو والصفح عن السيئات التي قد تبدر من بعض الناس للبعض الآخر، كما اشتملت على الوعيد الشديد للظالمين في الأرض بغير الحق، إلى جانب التذكير بالصبر على الأذى وستر السيئة.

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «... الصبْرَ عَلَى الْبَلاَءِ أَفْضَلُ مِنَ الْعَافِيَةِ عِنْدَ الرَّخَاءِ».(صفات الشيعة:٣٤)

فالصبر على البلاء من المحاسن العظيمة فيه الآثار والجوانب الرفيعة في حياة الإنسان، فضلاً عن الأجر والثواب في دار الآخرة.

فهذا النوع من الصبر هو شكر المنعم، وهو من الصبر الجميل قد يشكر الإنسان خالقه بصبره على القضاء والقدر أو البلاء الذي نزل إمّا لغفران الذنوب أو لرفع الدرجات.

وقيل للإمام الباقر عليه السلام: يرحمك الله ما الصبر الجميل؟ فقال عليه السلام: «ذَلِكَ صَبْرٌ لَيْسَ فِيهِ شَكْوَى إِلَى النَّاسِ».(الكافي الشريف:٢/٩٣)

من أنواع الصبر هو أنْ يصبر الإنسان على ما نزل به بعدم الشكوى إلى الناس، أنْ يجتنب الحديث مع الناس حول بلائه أو قضائه وقدره، بل يشكو همه وغمه إلى الله تبارك وتعالى، كما وصفه الإمام الباقر عليه السلام بالصبر الجميل.

الصبر في الدنيا من مصلحة الإنسان

عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام قال: «...مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ وَلاَ يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ وَيُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ وَقِلَّةَ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُم...».(نهج البلاغة:١٦٨)

فقلة الصبر في الإنسان ينتج عن تعلّقه بدار الدنيا، وفرحه بالبقاء فيها، أمّا الصابر المجاهد في سبيل الله الذي يصبر على ما نزل، يعلم أنّه مفارق هذه الدنيا الدنية، فبصبره يكسب الراحة في الآخرة.

يصف أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام حال الناس ويستفسر منه لماذا يفرحون بالقليل من هذه الدنيا مع علمه بقلته وفنائه، ولا يحزنون فوات الكثير في الآخرة من الأجر والثواب والجزاء والجنة والرضوان.

ويكون الإنسان في هذه الدنيا يقلق ويحزن ممّا يكسبه من الرزق القليل، بل ويغتم لما فاته من الرزق أو لم يحصل على الآفات الدنيوية، وقد يظهر هذا الحزن والقلق على وجوه الناس، وتخرج في أخلاقياتهم.

فهذا الحزن والغم وعدم التفكّر بالنتائج الأخروية سببه قلة الصبر عما زوي عنهم، وكأنّ هذه الدنيا دار مقامهم وكأنَّهم باقون في هذه الدنيا الفانية.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا لَهُ فِي الْمَصَائِبِ مِنَ الْأَجْرِ لَتَمَنَّى أَنْ يُقَرَّضَ بِالْمَقَارِيضِ».(المؤمن:١٥)

لو علم الإنسان ما يخصه الله تعالى له بعد الصبر على المصائب، لتمنّى أن يصبح كقطع لحم منثور، بل يتمنى أن يقرّض بالمقاريض، والمقاريض هو كمِقَصٍّ تُقَلَّمُ به أغصانُ الشّجر أو تقصّ به الأظافرُ.

إنّ إبراهيم الخليل على نبيّنا وآله وعليه السلام سأل ربه، فقال: (يا رب ما جزاء من يصبر الحزنى ابتغاء وجهك؟ قال: أكسوه ثياباً من الإيمان يكسب بها الجنة ويتقي بها النار...).(مسكن الفؤاد:٣٢)

وفي خطبة لأمير المؤمنين علي عليه السلام يصف فيها المتّقين يقول: «...إِنَّ للهِ عِبَاداً كَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ مُخَلَّدِين... صَبَرُوا أَيَّاماً قَلِيلَةً فصارُوا بِعُقْبَى رَاحَةٍ طَوِيلَة».(الكافي الشريف:٢/١٣٢)

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إِنَّكَ إِنْ صَبَرْتَ جَرَتْ عَلَيْكَ الْمَقَادِيرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ وَإِنْ جَزِعْتَ جَرَتْ عَلَيْكَ الْمَقَادِيرُ وَأَنْتَ مَأْزُور».(جامع الأخبار:١١٦)

يتضح من حديث الإمام سلام الله عليه أنّ المقادير والقضاء يجري علينا شئنا أم أبينا.

فإنّ صبرنا على قضاء الله وقدره فإنّنا نؤجر وقد اكتسبنا الثواب الجزيل، أما في حال الجزع والكراهية لقضاء الله وقدره أو الشكوى والهم والحزن يسلب منّا الأجر والثواب، ففي كلِّ الأحوال يقع القضاء والقدر على الإنسان.

فلماذا نضيّع ثواب تحمّلنا المصيبة وصبرنا على التي إنْ قدرت فهي واقعة لا محالة.

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «...مَنْ صَبَرَ وَاسْتَرْجَعَ وَحَمِدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ رَضِيَ بِمَا صَنَعَ اللهُ وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ جَرَى عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَهُوَ ذَمِيمٌ وَأَحْبَطَ اللهُ تَعَالَى أَجْرَهُ».

(الكافي الشريف:٢٢٣/٣)

للصابر أجر لا يعلمه إلاّ الله تعالى، فالمؤمن الصابر إذا حمد الله عزّ وجل وشكر الخالق في صبره يعني رضي بما قدّر الله له وسلّم بقضاء الله تعالى، فهنا أوجب الله على نفسه أن يعطي أجر عبده، كما ورد في حديث الإمام الباقر عليه السلام.

أما في الحالة الثانية إذا لم يصبر الإنسان على البلاء، يجري الله تعالى عليه القضاء والقدر وهو مذموم لعدم صبره وضبط نفسه، وقد يحبط الله عمله ولا يؤجر على البلاء.

من هم الصابرون وما علامتهم؟

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «عَلاَمَةُ الصابِرِ فِي ثَلاثٍ: أَوَّلُهَا أَنْ لاَ يَكْسَلَ، وَالثَّانِيَةُ أَنْ لاَ يَضْجَرَ، وَالثَّالِثَةُ أَنْ لاَ يَشْكُوَ مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى؛ لأَنَّهُ إِذَا كَسِلَ فَقَدْ ضَيَّعَ الْحَقَّ، وَإِذَا ضَجِرَ لَمْ يُؤَدِّ الشُكْرَ، وَإِذَا شَكَا مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ عَصاه». (علل الشرائع:٤٩٨/٢)

فالكسل هو: فُتُور، تَهَاوُن. وقيل كَسِلٌ: مُتَهَاوِنٌ، مُتَقَاعِسٌ، مُتَرَاخٍ. كسِل الشّخصُ: فتَر في أمر وتوانى، أو تثاقل عمّا لا يصحّ أن يتثاقل عنه، قصر في أداء عمله، عكسه نشِط، وقيل الكسل: هو أن يستسلم من دون المقاومة والصبر والتحمل. وهو ضعف الهمة والقوة والإرادة.

والضَجَر: هو الضَّيْقُ، الْمَلَلُ، السَّأَمُ. شَابٌ ضَجِرٌ: قَلِقٌ، ضَيِّقُ النَّفْسِ، مُتضايِق، مُتبرِّم. ضَجِرَ بالأَمْرِ ومنه: ضَاق وتَبَرّمَ. ضَجِرَ المكانُ: ضَاق بمن فيه. والضَّجُورُ: الكثيرُ الضَّجَر، قلِق، مُتضايق.

يفهم من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعض النكات المهمة منها ما يلي:

أولاً: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جعل عدم الكسل أوّل علامة للصابر باعتبار في الكسل تضييع للحقيقة، ومن ضيّع الحقيقة فالتزم بالباطل، وهذا عين الخطأ.

ثانياً: أنْ يملّ الإنسان من الصبر فهذا خلاف الحمد والشكر، فإنّ الإنسان إذا تضايق من كثرة الصبر لم يكن من الشاكرين، وهذا ما صرّح به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ثالثاً: أنْ يكون الصابر إلى الله تعالى فيه معصية، وهو الاعتراض على أمر الخالق عزّ وجل، فالقضاء والقدر من الله تعالى، والابتلاءات والأحكام الإلهية ليس فيها اعتراض ولا شكوى، فالشكوى ينتج الخروج عن الأمر الإلهي وهذا دال على المعصية والكفران بالنعمة.

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إِنَّا صُبُرٌ وَشِيعَتُنَا أَصْبَرُ مِنَّا»، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ كَيْفَ صَارَ شِيعَتُكُمْ أَصْبَرَ مِنْكُمْ؟ قَالَ: «لأَنَّا نَصبِرُ عَلَى مَا نَعْلَمُ وَشِيعَتُنَا يَصبِرُونَ عَلَى مَا لاَ يَعْلَمُونَ». (الكافي الشريف:٩٣/٢)

لا يعني كلمة (أصبر منا) الأفضلية بالنسبة للناس على الإمام المعصوم عليه السلام.

فالإمام المعصوم عليه السلام هو الكامل من جميع الجوانب والنواحي، سواء كانت مادية أم معنوية.

فلا يمكن للمأموم أنْ يعتلي على الإمام بصفة معينة ولو كانت بمقدار أنملة، وإلاّ للزم النقص في الإمام، وهذا خلاف العقيدة الإسلامية عند أئمة أهل البيت عليهم السلام.

لكن نقول: إنّ قول المعصوم إنّ شيعتنا أصبر مناً، باعتبار ما يستطيع أنْ يتحمله الإنسان المؤمن من الابتلاءات والصبر عليها وليس بالقياس مع صبر الإمام.

ونحن نعتقد أنّ صبر الإمام المعصوم عليه السلام أكثر وأفضل من صبر المخلوق في زمانه.

أمّا صبر الإنسان بالنسبة لنفسه فهذا صبر جميل وقد مدحه الإمام الصادق عليه السلام وعبّر عنه بكلمة (أصبر).

وقد ذكر الإمام سلام الله عليه سبب ذلك بقوله: (شيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون)، علم الإمام عليه السلام بسبب الصبر ونتائج الصبر يختلف عن الشيعي الموالي.

فالشيعة لا يعلمون على ماذا يصبرون، بل هم يصبرون على صبر الإمام سلام الله عليه، لكنَّ الإمام المعصوم يعلم على ماذا يصبر لأنّه عين الإمام المكلّف من قبل الله تعالى، وقد أخبره الله عزّ وجل بجميع الأمور فصبره مع العلم فيه اختلاف كثير مع صبر الإنسان الموالي مع عدم العلم، وهذا كما قلنا ليس من باب الأفضلية أو القياس بين الإمام عليه السلام وبين المأموم.

شُعَب الصبر

عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام أنّه قال: «الصبْرُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الشَّوْقِ وَالإِشْفَاقِ وَالزُّهْدِ وَالتَّرَقُّبِ، فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلاَ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا تَهَاوَنَ بِالْمُصِيبَاتِ، وَمَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ».(الخصال:٢٣١/١)

إنّ نزعة النفس والوله للوصول إلى الجنة يدفع الإنسان إلى تحمل الابتلاءات والبلاء، ويصبر على ما يجري عليه، كذلك دفع الضرر عن نفسه، وإبعاد روحه عن الأذى بالنار.

وهذا ما يحكم به العقل، فالقوة الخارقة التي يمكن أن نميّز بها الخير والشر وأنْ ندرك الأمور جميعاً يحكم بدفع الضرر وكسب المنفعة، فبما أنّ حصول الجنة لا يكون إلاّ بالصبر ودفع الضرر أي دخول النار أيضاً لا يكون إلا بعدم ضبط النفس، على الإنسان أن يستعين بالله تعالى ليكون صابراً شاكراً حامداً لله تعالى.

فإنَّ صبر الإنسان و ابتعاده عن المحرمات هو الابتعاد عن النار وعن غضب الله تعالى، وعلى الإنسان أن يحذر غضب الخالق عزّ وجل كذلك مع الاستهانة بالحكم الإلهي.

أما الشعبة الأخيرة بالنسبة للصابر هو انتظاره للموت وترقّبه ليأتي أجله في أي لحظة كانت، ولا يكون الإنسان ينتظر الموت إلاّ أنْ تكون صحيفته نظيفة، ولا يكون بذمته شيء سواء كان بينه وبين الناس أم بينه وبين الله تعالى، وهذا لا يتحقق إلاّ أنْ يسارع الإنسان بالخيرات، والأعمال الحسنة والصالحة، فإنّ الخير يأتي بالأجر الكثير فضلاً عن تساقط الذنوب.

شافاه الله ببركة صبره

رُوِيَ أَنَّ عِيسَى على نبيّنا وآله وعليه السلام مَرَّ بِرَجُلٍ أَعْمَى أَبْرَصَ مُقْعَدٍ مَضْرُوبِ الْجَنْبَيْنِ بِالْفَالِجِ وَقَدْ تَنَاثَرَ لَحْمُهُ مِنَ الْجُذَامِ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَى بِهِ كَثِيراً مِنْ خَلْقِهِ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: يَا هَذَا وَأَيُّ شَيْءٍ مِنَ الْبَلَاءِ أَرَاهُ مَصرُوفاً عَنْكَ!؟ فَقَالَ: يَا رُوحَ اللهِ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِي قَلْبِهِ مَا جَعَلَ فِي قَلْبِي مِنْ مَعْرِفَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: صَدَقْتَ هَاتِ يَدَكَ، فَنَاوَلَهُ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهاً وَأَفْضَلُهُمْ هَيْئَةً قَدْ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُ مَا كَانَ بِهِ فَصحِبَ عِيسَى وَتَعَبَّدَ مَعَه.(مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد:٩٦)

من مصاديق الصبر

كان الإمام الحسين عليه السلام قد شدّ على قلوب أهل بيته بالصبر والرضى بقضاء الله تعالى فلما رأى النساء يبكين عليه ليلة عاشوراء وسمع أخته أم كلثوم تنادي (وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله) عزّاها وقال لها: «يا أختاه تعزي بعزاء الله فإنّ سُكّان السماوات يفنون وأهل الأرض كلهم يموتون وجميع البرية يهلكون»، ثم قال: «يا أختاه يا أم كلثوم وأنتِ يا زينب وأنت يا فاطمة وأنتِ يا رباب انظرنَ إذا أنا قتلت فلا تشقّقن عليّ جيباً ولا تخمشن عليّ وجهاً ولا تقلنَ هجراً».

فكان الإمام عليه السلام يعطي درساً في الصبر والعزّة والإباء أمام أعداء الله تعالى.(اللهوف في قتلى الطفوف)



شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

الإلحاد.. ظاهـرة تعـاود الظهور

بعد أن ابتعد المسلمون عن القرآن وهديه، وتركوا سيرة نبيهم ونهجه، عصفت عليهم عواصف الجهل والشبهات، وحاطتهم من كل الجهات، حتى تاه منهم قومٌ، فارتدَّوا عن الملَّةِ وتركوا الأثر.

عندما بُعثَ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كان الجهلُ سائداً على القوم، والانحرافُ الفكري متشبعاً بأفكارهم كالنوم، فقد كانوا يجهلون ولا يتفكرون حتَّى، بعظمة الخلق ودقة إيجاده، ليَرشُدُوا إلى سبيل الهداية والسداد.

إنَّ عظمة صنع الخالق وإدراك وجوده، تُنالُ بدليلين، أولهما الدليل العقلي أو ما يُسمى بالبرهان، وثانيهما الدليل النقلي وهو متمثل بالآيات والروايات.

فالأول يطلب من الإنسان التأمل والتفكير بعظمة الموجِد العظيم، والثاني يتطلب من صاحب القلب السليم والعقل الفهيم أن يوسع نطاقه الفكري بالمطالعة وتتبع الآثار.

لقد اهتمتْ عموم الأديان والرسالات السماوية بمبدأ التوحيد أعظم اهتمام واجتهدت في إثباته، حتى عُدَّ أصل الأصول؛ كونه يُثبت علة مجيئها، وقد كان في قبال هذه الجهود مجاميع ممن يدَّعون امتلاكهم فكراً من الملاحدة والطبيعيين واللاربوبيين وغيرهم، يطرحون تشكيكاتهم، ويُثيرون التساؤلات حول وجود الإله وعدمه؟ أو نفي قدرته وعدله، أو ما هي آثاره؟ وغيرها.

فغاصَ في هذه التساؤلات وما نتج عنها من تشكيكات كثير من الناس، وما زالت تُرَوَّج حتى يومنا هذا، مع أنَّها فُنِدَتْ ورُدَّتْ في حينها، إلاّ أن موظتها قد عادتْ وتنكرت بالحداثة الحالية تماشياً مع التطور الحاصل.

إنَّ المتتبع لهذا المجال يجد أنّ الإثارات المطروحة أو التي تُطرح من قبل هؤلاء اللادينيين تصب في مصب واحد، ولا تختلف أبداً عن ما كان يُطرح سابقاً، ولكن الاختلاف طرأ على أسلوب الطرح وصياغة العبارة.

منشأ الإلحاد

لقد كان في الأزمان الماضية والتي سبقت ميلاد نبي الله عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام مدارس فكرية كثيرة ومتنوعة خصوصاً في اليونان؛ لانفتاح هذه البلاد فكرياً وتطورها سياسياً وانتشار الحرية فيها آنذاك، فاستعمل اليونانيون القدماء كلمة (الإلحاد) والتي تُعد ترجمة للكلمة الإغريقية (Atheos) قاصدين بها: (عدم الإيمان بإله).

ففي القرن الخامس قبل الميلاد تم إضافة معنىً آخر لها هو: (إنكار فكرة الإله الخالق الأعظم)، وقد لاقت هذه الفكرة رواجاً في حينها واعتقد بها الكثير.

ثم تلت العصور، وتجادلت المدارس الفكرية فيما بينها، الأمر الذي أدى إلى زوال كثير منها إضافةً إلى ظهور غيرها.

ثم جاء الإسلام، الدين الخالد، الذي رغم ما تعرض ويتعرض له من هجمات فإنّه يأبى الزوال أو الخراب، وقد وعد الله تعالى بحفظه عن طريق حفظ الثقل الأكبر منه بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُون﴾ [الحجر:٩]

بتعدد طرق الحفظ ووسائله ورأسها وأصلها هو بوجود الإمام المعصوم عليه السلام ولهذا الموضوع استقلالية تُطرح في محلها إن شاء الله، حيث واجه الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله الكثير من هؤلاء وقد كان يُطلق عليهم في حينها اسم (الدهريين) كونهم ينسبون أصل الخلق إلى الدهر (الزمن) وقد ذكر القرآن الكريم محاججة بعضهم حيث أنكروا المعاد والبعث ونسبوا الهلاك إلى الدهر فيتبين أعتقادهم بأنّ الموجد لهم هو الدهر كون المُعدِم والموجِد سواء، وردت هذه المحاججة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية:٢٥]

إنّ المتدبر في الآية الكريمة يجد أنّهم مع قولهم بأنّ الدهر هو مهلكهم فإنّهم لا يملكون يقيناً ودراية بذلك بل يظنون بحدوثه، إضافةً إلى ادعائهم بأنّ الحياة مرة واحدة فلا حياة بعد الموت الأمر المخالف للفطرة السليمة التي تؤمن وتُقر بلزوم الحساب والجزاء وإلا انتفت حكمة إيجاد الحياة.

لقد أسلفت بأنّ المنكرين لوجود الخالق تعالى، هم كُثُر ومتنوعو المسميات والمناهج، إلا أنَّهم جُمعوا تحت عنواناً واحداً هو (اللادينيين)، ويُعد هذا المصطلح عنوان عريض تندرج تحته الكثير من القناعات والتوجهات الفكرية والفلسفية والعلمية المرتبطة بالأسئلة الجوهرية عن خلق الكون ومغزاه، وعن السياسة والأخلاق، ولكن تعريف (اللادينية) بشكلٍ مبسط هو: (الإعتقاد بأنّ أي دين هو من صنع الانسان وليس من عند إله).

بعض تقسيمات الإلحاد

قسّم البعض اللادينيين من حيث نظرتهم للآلهة إلى ثلاثة أنواع:

١. الملحدون: وهم الذين يرفضون فكرة وجود قوى فوق طبيعية كالآلهة رفضاً صريحاً.

٢. اللاأدرية: وهم الذين لا يتخذون موقفاً معيناً من قضية الآلهة باعتبارها كما يعتقدون مسألة علمية ولا تحمل أهمية جوهرية بالنسبة للإنسان فهم لا يرفضون ولا يعتقدون بوجود الآلهة.

٣. الربوبيون: وهم الذين يعتقدون بوجود قوة مسيرة للكون قد لا تكون بمفهوم الإله الشخصي أو الخالق، في الوقت الذي ينضمرون فيه ضمن إطار اللادينية.

وبسبب التعريف السالف الذكر للإلحاد والذي يُعد غير واضح المعالم إضافةً إلى وجود تيارات عديدة تحمل فكرة الإلحاد، نشأت محاولات لرسم حدود واضحة عن معنى الإلحاد الحقيقي وأدت هذه المحاولات بدورها إلى تفريعات وتقسيمات ثانوية لمصطلح الإلحاد، فأنتجت بعض التصنيفات للإلحاد من أبرزها:

إلحاد قوي أو إلحاد موجب وهو نفي وجود إله.

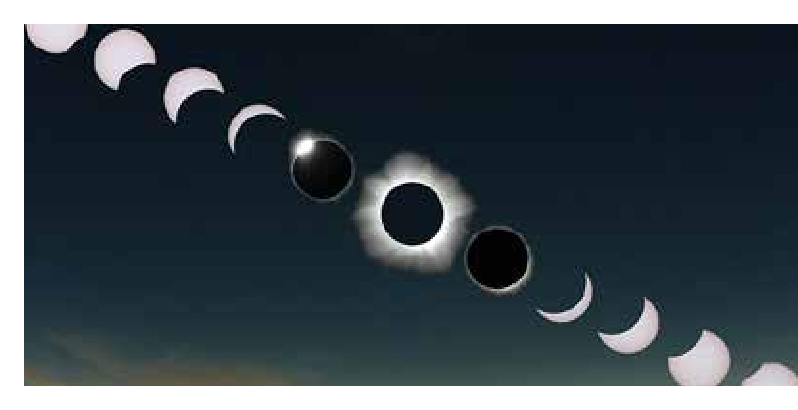
إلحاد ضعيف أو إلحاد سالب وهو عدم الاعتقاد

بوجود إله.

والفرق بينهما هو أن الملحد الموجب ينفي وجود الله وقد يستعين بنظريات علمية وفلسفية لإثبات ذلك، بينما الملحد السالب يكتفي فقط بعدم الاعتقاد بالله نظراً لعدم قناعته بالأدلة التي يقدمها الموحّدون.

ولو درسنا الواقع حللنا الظروف المعاصرة لاكتشفنا العديد من الأسباب التي أدت إلى ظهور ظاهرة الإلحاد ونموها في مجتمعاتنا، كما حدث سابقاً في المجتمعات الغربية وخصوصاً الأوروبية منها قبل مئات السنين، فقد روت كارين أرمسترونغ في كتابها (تاريخ الخالق الأعظم):

(منذ نهايات القرن السابع عشر وبدايات القرن التاسع عشر ومع التطور العلمي والتكنولوجي الذي شهده الغرب بدأت بوادر تيارات أعلنت استقلالها عن فكرة وجود الخالق الأعظم. وهذا العصر كان عصر كارل ماركس وتشارلز داروين وفريدريك نيتشه وسيغموند



فرويد الذين بدأوا بتحليل الظواهر العلمية والنفسية والاقتصادية، والاجتماعية، بطريقة لم يكن لفكرة الخالق الأعظم أي دور فيها. وقد أسهم في هذه الحركة الموقف الهش للديانة المسيحية في القرون الوسطى وماتلاها نتيجة للحروب والجرائم والانتهاكات للإنسانية التي تمت في أوروبا باسم الدين نتيجة تعامل الكنيسة الكاثوليكية بما اعتبرته هرطقة أو خروجاً عن مبادئ الكنيسة حيث قامت الكنيسة بتشكيل لجنة خاصة لمحاربة الهرطقة في عام ١١٨٤ م وكانت هذه اللجنة نشيطة في العديد من الدول الأوروبية، وقامت بشن الحرب على أتباع المعتقد الوثني في غرب أوروبا.

والوثنية هي اعتقاد بأنّ هناك قوتين أو خالقين يسيطران على الكون يمثل أحدهما الخير والآخر الشر. استمرت هذه الحملة من ١٢٠٩م إلى ١٢٢٩م، وشملت أساليبهم حرق المهرطقين وهم أحياء وكانت الأساليب الأخرى المستعملة متطرفة وشديدة حتى بالنسبة لمقاييس القرون الوسطى. وكانت بناءً على مرسوم من الناطق باسم البابا قيصر هيسترباخ (Caesar of Heisterbach) الـذي قال (اذبحوهم كلهم) وقد شملت هذه الحملة أكثر من ١٠ مدن في فرنسا. وتلت هذه الحادثة خسائر بشرية كبيرة والتي وقعت أثناء الحملات الصليبية.

ونتيجةً لكل ذلك فإنّ الإلحاد لم يقف عند العلماء فقط بل حتى الأدباء أعلنوا وفاة فكرة الدين والخالق، ومن أبرز الشعراء في هذه الفترة هو وليم بليك (١٧٥٧ - ١٨٢٧) (William Blake) حيث قال في قصائده إنّ الدين أبعد الإنسان من إنسانيته بفرضه قوانين تعارض طبيعة البشر من ناحية الحرية والسعادة، وأنّ الدين جعل الإنسان يفقد حريته واعتماده على نفسه في تغير واقعه.

وهذا غيضٌ من فيض إن أردنا المرور سريعاً على أسباب انتشار هذه الظاهرة، ومن الأسباب المضافة في مجتمعاتنا هي مشكلة الجهل الذي غرقت فيه أكثر هذه المجتمعات مما أدى إلى تراجعها وتأخرها، فقلة الإطلاع على مفاهيم الدين الأصيلة وترك العمل بقيمه السامية يُعد من الأسباب الجوهرية لتولد هكذا ردة فعل تهدم الدين في نفوس الناس، أضف إلى كل هذا تربص أعداء الدين لاغتنام أبسط الفرص لمهاجمته والنيل منه، الأمور التي أدت إلى حصول فجوة واسعة بين المجتمع والدين.

الأمثلة كثيرة في الإلحاد سواء ما روي من مواقف للرسول وأهل بيته عليه وعليهم السلام أو ما طرح من أفكار ورؤى حديثة، والخوض في غمارها ومناقشتها يحتاج إلـى أجـزاء عـدة لا يسع هـذه السطور القلائل إحتواءها أسأل من الله أن يوفقنا لذلك.

فهناك وصف للخالق ورد على لسان أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام وهو يذكر ثماني صفات للحق تعالى بقوله: «وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ الله وَحْـدَهُ لا شَريكَ لَه، الأوَّلُ لا شَيءَ قَبْلَه، وَالآخِرُ لا غايةَ لَه، لا تَقَعُ الأوهامُ لَهُ على صِفَة، ولا تُعقَدُ القُلوبُ مِنهُ على كَيفية، وَلا تَنالهُ التَجزِئَةُ وَالتَبعيض، وَلا تُحيطُ بِهِ الأبصارُ وَالقُلوب».[نهج البلاغة:١٢١/١]

بقلم: صاحب عبد الصاحب



الحوزات العلمية والوعي الحضاري

ليس من العقلانية الوقوف على حالة ما من دون النظر إلى الدوافع والمحفزات، سواء كانت نفسية نابعة من الإدراك البشري، أو عن طريق وحيانية النص المحفز، ولذا تقف أمام الباحث في شرعية الحوزات العلمية، والمحفزات للانضمام إليها مدركات خارجية وأخرى داخلية تتأطر ضمن إطارين الوحيانية والعقلانية، وأدل دليل على ذلك النصوص الشرعية الدينية المتكثرة سواء نصوص القرآن الكريم أو الإثرائية (الحديث الشريف) هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنّ الأعم الأغلب من البشر متفقون عقلاً على أهمية المعرفة والإشادة بأصحابها.

ولابد من الانتباه إلى مسألة لها شأنية كبيرة وهي أنّ النص الشرعي حينما دعا إلى المعرفة وحث على العلم وإعمال العقل، من خلال برنامج عملي تدريجي يعمق في ذهنية المتلقين لخطابه ذلك الأسلوب من التعاطي مع المعرفة، وفي مقدمة تلك النصوص الوحيانية كما أكد كل مفكري الإسلام قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .[العلق:١-٥]

ومن خلال هذا النص الذي يعد أول نص أوحيَ إلى النبي صلى الله عليه وآله تتضح قيمة المعرفة، إذ ابتدأ بنعمة الإيجاد والخلق، ثمَّ أردفها بنعمة العلم، فلو كان ثمّة منة أو توجد نعمة بعد الإيجاد هي أعلى من العلم لما خصه الله تعالى بذلك، وصدر به نور الهداية، وطريق الدلالة على الصراط المستقيم ملفتاً الانتباه إلى أنَّ مدارج كمال هذا الإنسان الذي خلق من أخس الأشياء (العلق) هو العلم الذي به يصير في غاية الشرف والنفاسة.

وحصر الخشية في العلماء إذ قال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .[فاطر:٢٨]

على شرط أن يكونوا من الذاكرين ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ﴾، والعلم هو من أبين أبواب الوصول إلى الحكمة التي تعد خيراً كثيراً، وقد آتاها لأنبيائه.

وكذا الأحاديث الشريفة فهي كما الآيات المباركة اهتمت بالبناء الفوقي للمعرفة، إذ جاءت جميعها لترسخ عقيدة الإيمان بقدرة العقل على الوصول إلى الكمال، والذي قرنت بعضها بينه وبين الأنبياء في

احتجاج الله سبحانه على خلقه، ولذا ينبغي الإيمان أنَّ إعمال العقل من خلال المعرفة ومن خلال العلم بها، ومن هذه النصوص من لم يكتفِ ببيان الأثر الدنيوي بل ركز على الأثر الأخروي كما في قول النبي صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عُتَقَاءِ اللهِ مِنَ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْمُتَعَلِّمِينَ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ مُتَعَلِّمٍ يَخْتَلِفُ إِلَى بَابِ الْعَالِمِ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ عِبَادَةَ سَنَةٍ وَبَنَى اللهُ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ مَدِينَةً فِي الْجَنَّةِ وَيَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَهِيَ تَسْتَغْفِرُ لَهُ وَيُمْسِي وَيُصبِحُ مَغْفُوراً لَهُ وَشَهِدَتِ الْمَلَائِكَةُ أَنَّهُمْ عُتَقَاءُ اللهِ مِنَ النَّار». (منية المريد:١٠٠)



ولكي لا يدنو الشك إلى أحدٍ مستغرباً من عظم هذا الثواب فإنّه صلى الله عليه وآله أوضح السبب في ذلك إذ قال: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ بِسَبْعِينَ دَرَجَةً بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ حُضْرُ الْفَرَسِ سَبْعِينَ عَاماً وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَضَعُ الْبِدْعَةَ لِلنَّاسِ فَيُبْصِرُهَا الْعَالِمُ فَيَنْهَى عَنْهَا وَالْعَابِدُ مُقْبِلٌ عَلَى عِبَادَتِه...».(روضة الواعظين:١/١٢)

وهي العلة ذاتها التي ذكرت مراراً في الروايات فليس المقصود بالعلم غير ما يترتب عليه من وظائف ومهام.

وجميع هذه النصوص الشرعية التي جاءت محفزة لطلب العلم والانضمام إلى المعلّم المتمثّلة بالحوزات العلمية التي تمثل أحد أبرز مظاهر السعي لذلك، وقد جاءت من وراء غاية أسمى وهي البناء الفوقي لخلق حالة التكامل البشري من خلال زرع المعرفة وإنمائها في المجتمعات لمحاربة حالة الجهل التي من أشد الحالات خطورة في المجتمعات.

إذن فإنّ حالة التكامل البشري تظهر في أبرز صورها من خلال المعرفة والتكامل المعرفي، إضافة إلى التناغم الوظيفي مع التغيّر السلوكي لطالب العلم والمعرفة من جهة، ومن جهة أخرى التغير السلوكي المجتمعي، ومن المؤكد أنّ الساعي للتكامل لا يتوقف عند حدٍ ودرجة معينين، بل يستمر في ذلك إلى آخر لحظة من حياته، وهذا ديدن الكثير من العلماء الكبار الذين سجلوا أسماءهم في صفحات التاريخ فإنّهم لم يعرف عنهم أنّهم توقفوا عن الاستزادة المعرفية حتى آخر لحظة في حياتهم، بل إنّ بعضهم كان يشكو من قلة الوقت لذلك حتى كأنّه يموت حسرة على لحظة من لحظات عمره لم يغتنمها لزيادة معرفته.

وهنا ينبغي الإشارة إلى حالة التراجع المعرفي التي شهدتها حوزاتنا العلمية على الرغم من تطور وسائل المعرفة ويسر تناولها من قبل الجميع، فاليوم صار بإمكان الجميع التعلم في البيوت وكثرت الجامعات المفتوحة في كل البلاد وكذا الحوزات العلمية الالكترونية التي قطعت أشواطاً كبيرة وحرقت مراحل كبيرة أمام طلاب المعرفة نجد أنّ حالة التراجع تسجل في كل مكان بصورة ملحوظة في الحوزات العلمية، فقديماً كنا نسمع بفلان البصري أو الكوفي أو البغدادي وغيره، إذ مرَّ على كل تلك الحواضر العلمية لاستزادة من علمائها ومعارفهم، أصبحنا اليوم ننظر إلى ظاهرة العزوف الحقيقي عن المعرفة، وإن كانت بحسب الظاهر غير ظاهرة.

لذا على الحوزات العلمية أولاً أن تراجع برامجها

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ بِسَبْعِينَ دَرَجَةً بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ حُضْرُ الْفَرَسِ سَبْعِينَ عَاماً»

التربوية والتعليمية.

ثانياً أن تهتم بتوعية الأفراد الذين ينتمون إليها.

ثالثاً على طلاب المعرفة أن يتعلموا كيف يبرمجون ذواتهم، فإنّ حالة الخواء المعرفي أصبحت ظاهرة واضحة للجميع، وليس بالمقدور تجاهلها والسكوت عنها، ولا نخفي رؤوسنا بالتراب كما تفعل النعامة عندما تداهمها الأخطار ظناً منها إنّه لا يراها الأعداء، وهـذه الظاهرة لم تقتصر على جانب من جوانب المعرفة.

وجميع الدراسات التي عنت بدراسة أسباب تنامي الأمم وتطورها أكدت على أنَّ أهم الأسباب لتنامي المجتمعات وتطورها هو ازديـاد علاقة تلك الأمم والشعوب بمصادر المعرفة، إذ أشارت بعض الدراسات أنَّ اليابان على الرغم من الظروف الصعبة التي مرت بها فإنَّها استطاعت أن تغزو العالم بصناعاتها والتي باتت تتطور شيئاً فشيئاً حتى أصبحت الصناعات الإلكترونية الدقيقة من أضخم صناعاتها التي تصدرها للعالم، ويعزا السبب في ذلك إلى تنامي حالة الوعي لأهمية المعرفة، ويذكر المراقبون أنَّ واحـدة من أكثر المظاهر شيوعاً هي العلاقة الإيجابية بين تلك الشعوب وبين الثقافة، فتكاد لا تخلو المرافق العامة من مشاهد القراءة والمطالعة التي كانت وراء تعزيز ثقافة تلك المجتمعات.

وتعد حالة التراخي وعدم الالتزام الدرسي أو حالات التعطيل في الـحوزات واحـدة من أكثر المظاهر شيوعاً، والتي لابد أن تعالج علاجاً صحيحاً حتى لا يضطر الطالب أن يتأخر سنين طويلة في قطع المراحل الدراسية، وواحدة من من تلك المدد الزمنية التي تعطل فيها الحوزات هي أيام المواسم التبليغية (شهر رمضان وشهر محرم) إذ تكثر مجالس الوعظ والإرشاد في هذين الشهرين، من كل سنة مما تضطر الحوزات العلمية أن تعطي فرصة للمبلغين لكي يتصدون لتوجيه الناس وإرشـادهـم، ولكن العادة جرت أن يضاف إليهما جزء من الشهر السابق وجزء من الشهر اللاحق وبالأخص في محرم حيث العادة أن تعطل الحوزات في شهر صفر كذلك، ومن ثم فإنَّ هناك حالة تكثر في أيام التعطيل وهنا يأتي السؤال هل بالإمكان أن يستمر الدرس في هذه الأيام أم لا؟

من المؤكد أنّنا لا نريد أن نسير باتجاه طوباوي يغلب عليه المثالية ولكن من المؤكد أنّ حالة التكامل المعرفي بل حتى البحث الدرسي ليست قاصرة على الالتزام بالدرس وإنَّما هناك الكثير من الأمثلة المتكررة في المجتمعات ومنها الحوزات العلمية، أنه كتب العديد من مفكري الحوزات العلمية في مجالات لم تكن معروفة على مستوى الـدرس الـحـوزوي كمن كتب في الفلسفة والفكر والعرفاني بل وحتى الاقتصاد



الإسلامي وغيرها من العلوم الإنسانية التي لم تكن حاضرة في الحوزات العلمية كمواد تدرس بصورة منهجية، ولكن حب المعرفة والسعي نحو التكامل المعرفي لدى هؤلاء المفكرين الأفذاذ، هي التي أسهمت في بناء الحضارة الإسلامية وبيان النقاط الإيجابية في التشريع الإسلامي، على أسس المنهج الإسلامي القويم، وهذا الذي يدعونا إلى القول إنَّه ينبغي أن تكون حالة تفاعلية بين الأجواء التربوية التي تنشأ في هذه المواسم التبليغية سيما في شهر رمضان، وبين الأجواء المعرفية لتخلق حالة من التكامل المعرفي التربوي السلوكي عند طلاب المعرفة.

بقلم: الشيخ حيدر الشمري



حوار مع حديث الغدير

وحيداً في عالم لا يعرف للوحدة وجهاً إلاّ وجهي أنا، فريداً ليس يرى مثلي أنا، وموسوعياً اكتنف في جعبتي كل الحقائق! نعم إنّه أنا (حديث الغدير).. الأصل الذي لا أصل مثله والفرع الذي لا فرع مثله والدين الذي لا دين مثله إنّه ديننا ومعتقدنا ومبدأ عملنا وأساس فكرنا ومحور تفكيرنا، إنَّه المضمون الذي يكشف عن كل المضامين!

إنَّه حديث الغدير.. واليوم سيكون حديثنا مع هذا الصرح الشامخ وأوّل ما نبدأ به حوارنا مع هذا النص الجوهري هو السؤال عن مصدره وعن هويته؟

يقول النص: أما مصدري فإنّ لي موسوعة كبيرة باسمي وهي موسوعة الغدير فمسألة السؤال عن مصدري وعن هوية تعريفي كمسألة من يسأل عن الشمس في وسط النهار.

ويستمر حديثنا مع هذا النص الشريف!

فقيل له: أخبرنا عن فحواك وعن مضمونك؟

قال: أنا باختصار ألخّص الدين كلّه فمضموني هو مضمون الدين كله! لذا سوف لن أتكلم عن كل شيء بخصوصي بل سوف أتكلم عن مضموني ضمن جهات محدودة!

الجهة الأولى: أصول الدين

فأنا أمثّل أصل هذه الأصول وطبعاً لسبب بسيط جداً حيث إنّي أتكلم عن خليفة الله وواسطته على الخلق!

ومعنى أنّي أتكلم عن خليفة الله هو أنّي أتكلم عن الجهة التي منها يؤخذ دين الله ومن دونها لا وجود لهذا الدين أبداً.

فإنّي أتكلم عن ممثل الله في الخلق فمن هذه الجهة أنا أكون أصل الأصول باعتبار أنّني الجهة التي تؤخذ منها الأصول وبواسطتها نعرف مراد الله ونعرف إرادته وحكمه ومن هنا نجد أنّ أحد أوصاف خليفة الله أنّه الجهة التي تنطق وتظهر فيها مشيئة الله في الخلق وإلى الخلق.

الجهة الثانية: فروع الدين

في الواقع هذه الجهة من أوضح الواضحات فإنّ الذي يمثل الله في الخلق لابد من أنّه الجهة التي تؤخذ منها أحكام الله ومن يمثل الله في أصوله لابد أن يمثله في فروعه.. فكلمة الخليفة هي كلمة المستخلف حقاً وحقيقة.

الجهة الثالثة: منظومة الآداب والأخلاق والسلوكيات العامة

وهذه الجهة أصبحت واضحة بعدما عرفنا أنّ خليفة الله هو الناطق عن الله في فروعه وأصوله وإرادته ومشيئته فإنّ مسألة تبيان الآداب والأخلاق مسألة يصبح الكلام حولها أمراً واضحاً فإنّها أيضاً لن تؤخذ إلا من ولي الله.

الجهة الرابعة: منظومة التفسير

لا يخفى على أحد أنّ حديث الغدير قد بين منهج التفسير كلياً حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله بعد رفع يد الأمير ما مضمونه بأنّ التفسير لن ولم ولا يكون ولا يؤخذ إلا من أمير المؤمنين عليه السلام وبغض النظر عن هذا المضمون الواضح جداً في حديث الغدير إلا أنّ العقل قبل النقل يحكم بهذا!

فخليفة الله أول عمل له هو تفسير كلام الله ولا تحتاج إلى كثير كلام حولها وحقيقة فإنّ هذه النقطة بالذات هي النقطة الأهم والمسألة الأخطر والأكثر حساسية بالقياس مع أي مضمون آخر ممكن أن تجده في كل النصوص الدينية.

فقلنا له: وكيف ذلك أيها النص الشريف؟

قال: أنا من حيث التسلسل الزمني أعتبر من أواخر ما قاله الرسول للأمة بل ربما أنا الأخير وهذا يعني أنّني أحمل المضمون الأهم في رسالة السماء فمن العادة آخر ما يقوله أي شخص هو أهم ما يقوله فما بالك بحديث وصفه الله بأنّه إنْ لم يقله الرسول صلى الله عليه وآله فكأنّما لم يبلغ رسالته أبداً!

وبعبارة أخرى فإنّ رسالة الرسول صلى الله عليه وآله بلّغها كلها في غدير خم ومن هنا يعتبر هذا النص هو أوضح الدلائل عن مسألة أنّ الإمامة هي أصل الأصول حيث بها يكون هنالك دين ومن دونها لا وجود لأيّ دين إطلاقاً!

فيعتبر حديث الغدير في مسألة التفسير هو المشروع الإلهي في مواجهة مشروع حسبنا كتاب الله الذي أسس له إبليس! وهو خلاصة مضمون حديث الثقلين الشهير! حيث إنّ الدين والقرآن من دون العترة لن يكون لهما وجود، ومن هنا يكون أعداء علي ملحدين فهم ألحدوا بمضامين حديث الغدير ولاسيما مضمون التفسير واتبعوا منهج حسبنا كتاب الله فعليهم غضب الله حيث شرعوا في قبال تشريع الله وإرادته.

الخلاصة

إذن حديث الغدير هو الأصل الذي به تعرف الأصول ومنه يؤخذ منهجية التفسير وبه تؤسس منهجية الحراك الفكري وفي زماننا هذا فإنّ مضمون الغدير لا مصداق له إلاّ ولي أمرنا الحجة بن الحسن روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء.

وبيعة الغدير هي بيعة لإمام زماننا فهو ولي الله وخليفته بعد آبائه الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

بقلم: حيدر الوائلي

بـديـهـيـة الآداب العامة

تتراوح الآداب الحميدة والذَّميمة، بين كونها كسبيَّة نظريَّة، أو ضروريَّة بديهيَّة.

القسم الأول

فالأولى تحتاج إلى نظرٍ وتمعُّنٍ كي يتحلَّى بها الفرد، بل وتحتاج للتعلُّم والقراءة في سِيَر وتراجمِ أهل الخُلُق والأدب، والبحث النَّظريّ في كتب الأخلاق للوقوف على حقيقة عِدَّةٍ من الصفات الباطنيَّة التي تتجسَّد فتكون خُلُقًا؛ حميدًا كان أم ذميماً.

وقد سمع أميرُ المؤمنين عليه السلام رجلاً يشتم قنبرًا، وقد رام قنبرٌ أن يردَّ عليه، فناداه أميرُ المؤمنين عليه السلام: «مَهْلاً يَا قَنْبَرُ دَعْ شَاتِمَكَ مُهَاناً تُرْضِ الرَّحْمَنَ وَتُسْخِطِ الشَّيْطَانَ وَتُعَاقِبْ عَدُوَّكَ فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا أَرْضَى الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ بِمِثْلِ الْحِلْمِ وَلاَ أَسْخَطَ الشَّيْطَانَ بِمِثْلِ الصمْتِ وَلاَ عُوقِبَ الأَحْمَقُ بِمِثْلِ السُّكُوتِ عَنْه».(أمالي المفيد:١١٨)

يظهر من الرواية بعض الفوائد منها ما يلي:

١. إنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام يحثّ على التمسك برضى الله تعالى وسخط الشيطان، وهو أوّل ما ذكره عليه السلام لقنبر في حصوله على رضا الله.

٢. من وسائل عقوبة العدو هو عدم الاهتمام به، بل وهذا يكون عقوبة للشيطان، وقد يسخط الشيطان في حال ترك المتعدّي بالشتم.

٣. من الأمور التي ترضي الرب هو الحلم بالنسبة للمؤمن وهذا ما أكّد عليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله (ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم).

٤. والصمت في وجه الأحمق فيه سخط الشيطان فضلاً عن معاقبته به وهذا أيضاً ما ورد في قوله عليه السلام (ولا أَسخط الشيطان

بمثل الصمت ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه).

وقال الإمام الصادق من آل محمدٍ عليه وعليهم السَّلام: «مِنَ التَّوَاضُعِ أَنْ تَرْضَى بِالْمَجْلِسِ دُونَ الْمَجْلِسِ وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلَى مَنْ تَلْقَى وَأَنْ تَتْرُكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقّاً وَأَنْ لاَ تُحِبَّ أَنْ تُحْمَدَ عَلَى التَّقْوَى».(الكافي الشريف:١٢٣/٢)

فالسلام من الآداب المهمة بين عامة الناس، أن يسلّم المرء على من يلقاه، كذلك أن يترك الجدال والمراء وإن كان محقاً في قوله ودعواه، إضافة إلى عدم الإعجاب بالنفس وحب الحمد والثناء لتقواه، وهذه أيضاً من الأمور الغير حميدة في آداب المجتمع الإسلامي.

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «جَاءَ رَجُلٌ مُوسِرٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله نَقِيُّ الثَّوْبِ فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَجَاءَ رَجُلٌ مُعْسِرٌ دَرِنُ الثَّوْبِ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِ الْمُوسِرِ فَقَبَضَ الْمُوسِرُ ثِيَابَهُ مِنْ تَحْتِ فَخِذَيْهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «أَخِفْتَ أَنْ يَمَسَّكَ مِنْ فَقْرِهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَخِفْتَ أَنْ يُصِيبَهُ مِنْ غِنَاكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَخِفْتَ أَنْ يُوَسِّخَ ثِيَابَكَ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرِيناً يُزَيِّنُ لِي كُلَّ

قال الإمام الصادق عليه السلام: «مِنَ التَّوَاضُعِ أَنْ تَرْضَى بِالْمَجْلِسِ دُونَ الْمَجْلِسِ وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلَى مَنْ تَلْقَى وَأَنْ تَتْرُكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقّاً وَأَنْ لاَ تُحِبَّ أَنْ تُحْمَدَ عَلَى التَّقْوَى»

قَبِيحٍ وَيُقَبِّحُ لِي كُلَّ حَسَنٍ وَقَدْ جَعَلْتُ لَهُ نِصفَ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لِلْمُعْسِرِ: أَتَقْبَلُ؟ قَالَ: لاَ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: وَلِمَ!؟ قَالَ: أَخَافُ أَنْ يَدْخُلَنِي مَا دَخَلَكَ».(الكافي الشريف:٢٦٢/٢)

ينصّ حديث النبي صلى الله عليه وآله على عدم الاختلاف بين الفقير والغني وبين الرئيس والمرؤوس وبين الصغير والكبير، إلاّ بالتقوى، وهذا عين ما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾.[الحجرات:١٣]

وكان أميرُ المؤمنين عليه السلام يُحَدِّثُ ولدَه الإمام الحسنَ المُجتبَى عليه السلام قائلاً: «يَا بُنَيَّ أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَرْبَعَ خِصالٍ تَسْتَغْنِي بِهَا عَنِ الطِّبِّ، فَقَالَ: بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: لاَ تَجْلِسْ عَلَى الطَّعَامِ إِلاَّ وَأَنْتَ جَائِعٌ، وَلاَ تَقُمْ عَنِ الطَّعَامِ إِلاَّ وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ، وَجَوِّدِ الْمَضْغَ، وَإِذَا نِمْتَ فَاعْرِضْ نَفْسَكَ عَلَى الْخَلاَءِ، فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَ هَذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنِ الطِّبِّ».(الخصال:٢٢٩/١)

وعن سيّدنا ومولانا الإمام موسى بنِ جعفرٍ عليهما السلام أنَّه قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُحَاسِبْ نَفْسَهُ كُلَّ يَوْمٍ فَإِنْ عَمِلَ خَيْراً حَمِدَ اللهَ وَاسْتَزَادَهُ وَإِنْ عَمِلَ سُوءاً اسْتَغْفَرَ اللهَ».(عدة الداعي ونجاح الساعي:٢٣٩)

وهذا بابُه رحبٌ وسيع، أنَّى له الانقضاء، وقد ملأت آثارُه الأرضين والفضاء!

تتراوح الآداب الحميدة والذَّميمة، بين كونها كسبيَّة نظريَّة، أو ضروريَّة بديهيَّة

القسم الثاني

وأمَّا القِسمُ الآخَر، فهو مِمَّا لا يُلَقَّن عادةً، ولا يُتلى من الكتب تلاوةَ تمعُّنٍ وتدبُّر، لا لأنَّه مفقود القيمة؛ بل لأنَّه بدهيٌّ مستغنٍ عن التعليم المباشر.

فالعادةُ أن يتعلَّم الفرد منذ الصِغر، نعم بيئتُه هي التي تربّيه عليه دون أن تشعر هي بذلك، ودون أن يشعُرَ هو بذلك؛ لأنَّ الأمورَ الثَّابتةَ في أعراف أهل الأمن والإيمان قد جعلت عيالها في حِرزٍ حريزٍ من الآفات الأدبيَّة والاجتماعيَّة، ولولاها لتوغَّلت النُّفوس بالمكدِّرات، ولَنأت عن الصفاء والخُلُوص الذي أراده لنا ربُّنا جلّ في علاه وسادتُنا الأطهار عليهم السلام.

وهذه الآداب العامَّة البدهيَّة شأنُها شأنُ البدهيَّات الأخرى، فكما أنَّ العلم الكسبيّ لا يتحقَّقُ إلا برجوعه ومآله للعلم البدهيّ، كذلك هي الآداب العامَّة، فالأخبار التي ذكرناها سابقًا عن أهل بيت العصمة عليهم السلام وغيرها التي تتحدَّث عن الآداب الكسبيَّة، لا تتأتَّى

لأيّ فردٍ إلاّ بأنْ تكون له قاعدةٌ نظيفةٌ عامَّة تقبلُ طبيعةَ هذه التعاليمِ الجليلةِ التي تسمو بالإنسان فترفعُ شأنه وتُعلي قدرَه.

ولعلَّه لهذه النُّكتة لم يـرِدْ ذِكـرُها كثيرًا في أخبارهم عليهم السلام، ولم يكن الأئمة الطَّاهرون يتشدَّدون في تثبيتها؛ لأنَّها بطبيعة الحال ثابتةٌ في النَّفس النظيفة السَّويَّة التي نشأت في بيئة السِّلم والسَّلام والاحترام.

قال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام في وصية لغلامه قنبر: «مَا أَرْضَى الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ بِمِثْلِ الْحِلْمِ وَلاَ أَسْخَطَ الشَّيْطَانَ بِمِثْلِ الصمْتِ»



وأضربُ مثالاً واحدًا لهذا النَّوع من الآداب العامَّة، وللقارئ اللَّبيب أن يعيَ ما أرمي إليه في هذه المقالة:

حُرمَة كبير السِّن.. يبدو أنَّ بعضَ من يقرأ الآن يصيبه شيءٌ من الغرابة!، لا داعيَ للغرابة هذا اليوم، فما أكثر مَن نُزِعَ من قلبه توقير الكبير في السِّن.

نحن في المقام لا نتحدَّث عن الكبير في الشَّأن والمنزلة، ولا نتحدَّث عن الكبير في قومه، فربما يكون هؤلاء بحاجةٍ إلى تعليمٍ وتلقينٍ لاحترامهم وتوقيرهم، نحنُ نتحدَّث عن أولى اللَّبِنات لبناء كثيرٍ من الكمالات، توقير الكبير في السِّن، سواء بسنوات أو بسنين.

يدخل كبار السِّن إلى المساجد أو المآتم أو المجالس، فلا يجدون لهم موضعًا للجلوس، وإذا بالمجالس المريحة فائضةٌ من الصِغار! ولا نرى أيَّ أحدٍ منهم يدير بالاً لِمَن دخل ما دام هو قد حصل على ما يريده من مجلسٍ تطيب له الأبدان.

والأدهى من ذلك أن نرى أنَّ الأب متربِّعٌ على كرسيٍّ وأبناءه كذلك يملؤون الأرائك المحيطة به، فيدخل الكبار فيفترشون وسط المجلس خوفًا من أن يأمر طفلاً من الأطفال بالتَّنحِّي فيزعل والده أو تتأثَّر نفسيَّة الطفل نفسه.

وكذلك بين الزملاء والأصحاب وأهل القرابة والمودَّة، هناك كبيرٌ وهناك صغير، وليست تلك مقتصرة على الغرباء والبعداء، فالآداب عامَّة كانت أو خاصَّة لا تختلف باختلاف الأفراد إلاَّ في موارد ضيِّقة يفهمها أولو الألباب في مضانها.

فالأخُ الكبير يبقى أخًا كبيرًا، والصديق الكبير يبقى هو هو، مهما تقاربوا وتلاحمت الحواجز، تبقى أمورٌ لا يتنازل عنها كلُّ ذي أدبٍ وحِكمة.

ألَمْ يأمُرْنا رسولُ الله والأئمة الطَّاهرون عليهم أفضل الصلاة والسلام بتوقير الكبير في السِّن، فضلاً عن كونه كبير شأنٍ ومنزلة، ألم يكن هذا الأدب متسالَمًا متعارفًا بين جميع طبقات المسلمين بلا أيِّ فرق، فلم نفتح أعيننا على هذه الدُّنيا إلاَّ ونحن نرى أنَّ الكبير له مكانته ومهابته المحفوظة التي لا تُمَسُّ.

العجيب في الأمـر، أنَّنا هنا نتحدَّثُ عن مثل هذه البدهيَّات، فلو صادفتَ حالةً من هذه الحالات المريضة، كيف ستعالجها، هل تستنكر وتنصح؟ يبدو أنَّ ذلك مُخجِلٌ، فأمثال هذه الأمور تأبى التَّلقين كغيرها من الأمور النَّظَريَّة، لاسيَّما إذا شبَّ الشَّابُّ وهو لا يعي هذه الأمور، ماذا تصنع معه؟ فلا أنت قادرٌ على تعليمه هذه الأولويَّات، ولا أنت قادرٌ على الإغضاء والمضيّ لكونها من الدركات السِّحيقة في تلوُّث النَّفس الفرديَّة والاجتماعيَّة، فهل تتصوَّر أنَّك ستقول لأحدهم يومًا: اشرب الماء بهذه الكيفيَّة وكُلِ الطَّعامَ بتلك الطريقة، إنَّ هذا الأمر سيِّئٌ للغاية.

فهل بعد هذا وذاك نرمي أولادَنـا ولا نقتحمَ ساحةَ تأديبِهم وتعليمِهم منذ الصِغر بحُجَّة أنَّهم صغار وليفعلوا ما شاؤوا؟ فلا أدب ولا تأديب، ولا منذرٌ ولا رقيب!

بقلم: أحمد عبد الحسن نصيف



سطور في حواشي مقام الإمامة الأعظم

عادة تكون القصص متكونة من مقدمة ومضمون وخاتمة وخلاصة نأخذ منها العبرة والدروس ولكن في هذه القصة لا توجد مقدمة ولا توجد خاتمة لأن المقدمة معنى والخاتمة رمز وما بينهما من الكلام رموز وإشارات فيتيه الزمان في دوامة المكان ويختصر المكان في قالب الزمان وكل شيء يذوب في بركان وهمه وبحر ظلاله فلا يكون أي وجود للخيال في ساحة كلها شمس وأيضاً محاطة بالشموس من كل الأطراف ومن جميع الجهات فأي ظل سيبقى بين هذه الشموس يا ترى؟

وفي هكذا أجواء وإذا بصوت ملائكي من مغرب الوجود ينادي يا ملك المشرق ما بال الخلق لا يفقهون حقيقتهم ولا يعرفون حدودهم؟

فجاء الصوت من المشرق ضاحكاً: ماذا سمعت منهم مجدداً حتى تقول هذا الكلام!

فجاء الصوت من المغرب: لقد سمعت شخصين من عالم الوهم والخيال وكان أحدهم يقول للآخر أنا وأنا وأنا وأنا.

فمن هم يا ترى حتى يقولوا نحن؟

فجاء الصوت من المشرق: وأين إشكالك يا صاحب المغرب؟

فقال صاحب المغرب: ما هو إشكالي؟ هل تمزح معي أم أنت جاد في سؤالك؟

هل نسيت أنّ الذي يقول أنا فقد نازع الحق سبحانه في تفرده فالموجود الوحيد الذي يقول أنا هو الله جل شأنه.

فقال صاحب المشرق ضاحكاً بصوت عالٍ: وهل نسيت أنّ الموجودات الخالقة قالت وتقول مراراً أنا أنا أنا؟

ألم تقل الموجودات الأولى أنا أحيي وأميت وأنا الأول وأنا الآخر وأنا وأنا.

فقال صاحب المغرب: لا شك أنَّك تريد أن تقتلني بهذه الرسالة وإنّي أعجب لماذا لم تقضِ عليك الموجودات الأولى إلى هذه اللحظة مع أفكارك هذه؟

يا صاحب المشرق ألم تقرأ في زبور الوجود الأول أن هذه المخلوقات مخلوقات لا فرق بينها وبين الله فهم مثل الأعلى الذي ليس مثله شيء؟

فهذه الموجودات هي الوحيدة التي تقول (أنا) لأنّها لا فرق بينها وبين خالقها وعندما تقول (أنا) فإنَّها تشير إلى فنائها في ذات خالقها فلا تقترب من تلك الذوات والموجودات لأنّها ممسوسة في ذات الله.

فهي مظهر المتكبر والجبار والقهار والمصور والجليل وغير ذلك.

فهم الذات والموجودات التي مثلت وجسدت في عالم الوجود الأسماء الحسنى لله! فهي بذلك الذوات التي لا فرق بين أنانيتها وأنانية خالقها لأنّها أنا واحدة.

فجاء الصوت من المشرق ضاحكاً: أنا أعرف هذه المعاني ولو شككت بها لاحترقت كما تعرف ولكن أنا أحب أن أغيضك قليلاً.

فالكل يعلم بأنّ الأنا التي جعلت إبليس رجيماً حين قال (أنا خير منه)، وأنّ الأنا التي قالها فرعون (أنا ربكم الأعلى) تلك الأنا التي قهرته، وأنّ الأنا التي جعلت النمرود أضحوكة حين قال (أنا أحيي وأميت) إنّما هي أنا نازعت أصحاب الأنا سلطانهم الحقيقي! فمن هم هؤلاء حتى يقولوا أنا؟

فكل من يقول أنا غير محمد وآل محمد الأطيبين الأطهرين في عالم الخلق فقد نازع آل الله سلطانهم الذي جعله الله لهم ونهايته ستكون نهاية إبليس وفرعون والنمرود بل ربما أكثر إذ إنّ آل محمد فقط من يمكنهم السيطرة على الأنا فلا تخرج عن عبودية خالقهم وأما غيرهم فإنّ الأنا عنده هي عبودية الهوى والنفس ومن هنا تأتي الكارثة في منازعة آل الله سلطانهم.

نزار حيدر



الرصاصة التي لاتخطئ

بعد يوم شاق تحركت المرأة نحو غرفة صاحبة المنزل لتستلم راتبها، لم تكن تعرف ماذا ينتظرها وراء الكواليس، فهل هذه المرة كسابقتها أيضاً؟! طرقت الباب ودخلت إلى الداخل وطلبت من صاحبة العمل أن تسلمها راتبها، لكنها فوجئت برد صاحبة المنزل عندما قالت:

- كنا قد اتفقنا أن يكون أجرك الشهري ٢٠٠ ألف دينار أليس كذلك؟ أجابت المرأة: بل ٢٥٠ ألفاً.

ولكن صاحبة المنزل أجابتها بصوت مشحون بالثقة والقوة: لكنني دوّنتُ الأجر في مذكرتي ٢٠٠ ألف!

طأطأت المرأة رأسها بحزن ولم تتفوه بأية كلمة، ورضخت للأوامر الحاسمة لصاحبة البيت الذي تعمل فيه مقابل أجر شهري، ثم تذكرت المرأة الأم تلك الأمنيات التي ترغب بها وتعددها صغيرتها كل ليلة قبل أن تنام، فشعرت المرأة كأنَّ ثقل العالم قد سقط على كاهلها ليقضي عليها، للحظات شعرت بأنَّها تكاد تفقد صبرها وتثور بوجه صاحبة المنزل وظلمها لها، لكنَّها تذكرت تلك الأماني الصغيرة لطفلتها، ووالدتها العجوز التي

الظُّلْـمُ ثَلاَثَةٌ ظُلْمٌ لاَ يَغْفِرُهُ اللهُ وَهُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَظُلْمٌ يَغْفِرُهُ اللهُ وَهُوَ ظُلْمُ الرَّجُلِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، وَظُلْمٌ لاَ يَدَعُهُ اللهُ وَهُوَ الْمُدَايَنَةُ بَيْنَ الْعِبَادِ



لا تستطيع أن تفعل شيئاً سوى التحديق إلى وجهها المهموم، أخذت زفيراً كي تستعيد توازنها من جديد.

ثم أكملت صاحبة المنزل كلامها إلى المرأة العاملة لديها: لقد طلبتي إجازة لمدة خمسة أيام ومنحتكِ ما تريدين، لذا فإنَّ أجور هذه الأيام الخمسة يجب أن تُقطَع من راتبك.

ثم أكملت: كان أحد أطفالي مريضاً لمدة ثمانية أيام وأنت قمتي برعاية طفل واحد فقط ودونت في دفتري بأنَّك أخذتي مبلغ ٥٠ ألفاً من زوجي وكسرتي إناء الضيوف، كل هذه سوف تُحسَم من راتبك ولم يبقَ منه سوى ١٠٠ ألف.

توشح وجه المرأة بالاحمرار واغرورقت عيناها بالدموع وبصوت مرتجف مشفوع بنبرة مقهورة تتراكم في حنجرتها أجابت: كما تشائين.

تسلمت المرأة المبلغ من صاحبة المنزل وهي تتمتم: (يوجد بين الظلم والرحمة خيط رفيع لا يستطيع العبور منه إلا أهل الرَّحمة وأصحاب القلوب البيضاء).

ثم قبيل خروجها من الغرفة سمعت صوت صاحبة المنزل تقول لها: ارجعي وتسلمي باقي المبلغ.

رجعت وعلى وجهها آثار الدهشة والاستغراب، وبختها صاحبة المنزل وسألتها، كيف لم تدافع عن حقها؟

لكنّها أجابت قائلة: كلما وددت أن أتكلم قطعتي كلامي بأنَّك كتبتي كل شيء في مدونتك، وفي البيوت الأخرى حرموني فعلاً من هذا المبلغ أيضاً (مئة ألف).

تسلمت ثمن تحقيق أماني ابنتها الصغيرة التي كانت تختصر حياتها البسيطة في (حذاء وحقيبة مدرسية جديدة).

خرجتْ وهذه المرة ابتسامة جميلة كانت تزين وجهها المهموم ولكن صاحبة المنزل جلست تفكر مع نفسها إلى أي درجة يستطيع الإنسان أن يكون رخيصاً!



استبيان

يسر مجلتكم / مجلة الوارث التي تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة أنْ تدعوكم للإساهم الجاد في الاستبيان الذي تقيمه، وذلك لغرض تقويم المجلة في مظهرها وجوهرها الحاليين ومن ثم إحداث قفزة نوعية في مضمونها وشكلها، ولن يتم ذلك إلاّ من خلال إسهامكم المهم في الاستبيان المذكور الذي نحاول عن طريق الاعتماد على نتائجه الوصول إلى أرقى ما تتطلبه المجلة في جميع الأبواب ولذلك نقدم لكم شكرنا وتقديرنا مسبقاً على إسهامكم في هذا الاستبيان.

- ما هي المواد التي تهتم بها أكثر في المجلة : ....

- ما هي طبيعة المواد التي تحب أن تطلع عليها أكثر: ....

- هل تستطيع أن تقيم مضمون مجلة الوارث : (جيد☐ / لابأس☐ / ضعيف☐)

- ما هي جوانب الضعف في المجلة : ....

- ما هي الجوانب التي تقترح أن تهتم بها المجلة أكثر: ....

- ما هي النقاط الإيجابية في المجلة : ....

- هل تعتقد أنّ حجم المجلة الحالي هو ملائم : نعم ☐ / لا ☐

بسهولة يستطيع الظالم أن يقضي على كرامة الآخرين ويظلمهم دون رحمة، ولكن ظلم الناس من الكبائر وهو ذنب عظيم، قال سبحانه وتعالى في وعيد الظلمة: ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ .[طه:١١١]

عن الامام السجاد عليه السلام في وصية لابنه قال: «...إِيَّاكَ وَظُلْمَ مَنْ لاَ يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِراً إِلاَّ اللهَ»

وقال تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ .[الفرقان:١٩]

الظلم كما عرفه البعض هو وضع الشيء في غير موضعه، وهو الجور.

وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد، ويطلق على غياب العدالة أو الحالة المناقضة لها.

ويستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى حدث أو فعل معين، أو الإشارة إلى الوضع الراهن الأعم والأكثر شمولاً.

ويشير المصطلح بصفة عامة إلى إساءة المعاملة أو التعسف أو الإهمال أو ارتكاب جرم دون تصحيحه أو توقيع العقوبة عليه من قبل النظام القانوني وقد تمثل إساءة المعاملة والتعسف فيما يتعلق بحالة أو سياق معين إخفاقاً نظامياً في خدمة قضية العدالة (قارن الفراغ القانوني).

ويقصد بالظلم (الإجحاف البين)، ويجوز تصنيف الظلم كنظام مختلف مقارنة بمفهوم العدالة والظلم في البلدان المختلفة.

فقد يكون الظلم ناجماً ببساطة عن اتخاذ قرار بشري خاطئ، وهو أمر من المفترض أن يحمي النظام من التعرض له، وفي الشريعة عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل.

فهيمة رضا

ورد فـــي المحاســـن عن النضر عـــن الحلبي عن أبي بصير قال : ســـألت أبـــا عبد الله عليه الســـلام عن قـــول الله تبـــارك وتعالى:

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾

[البقرة:٢٦٩]

فقال عليه السلام: «هي طاعة الله ومعرفة الإمام»



صدر حديثاً
من شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الحسينية المقدسة



■ **تعلن إدارة مجلة الوارث عن البدء في استقبال البحوث والمقالات العلمية والإسلامية لنشرها ضمن أعداد المجلة القادمة، علماً أنَّ المقالات ستخضع للتقييم العلمي.**

يرجى إرسال الأعمال على البريد الإلكتروني التالي:

Email: dirasatislamia@gmail.com